مطبوعات أكاديمية المملكة المغربية

الماء وما ورد في شربه من الآداب

تأليف محمود شكري الألوسي
تحقيق محمد بهجة الأثري
عضو أكاديمية المملكة المغربية

جمادى الثانية 1405 / مارس 1985

مطبوعات أكاديمية المملكة المغربية

الماء وما ورد في شربه من الآداب

تأليف محمود شكري الألوسي

تحقيق محمد بهجة الأثري

عضو أكاديمية المملكة المغربية

جمادى الثانية 1405 / مارس 1985

أكاديمية المملكة المغربية

طريق زَعير، الرباط
ص. ب. 1380،
المملكة المغربيّة

رقم الايداع القانوني
1984 / 70

مقدمة المحقق

بسم الله الرحمن الرحيم

يُذكر الماء فترِد معه في الخاطر الحياة، وتمثل في الذهن جملة ما يقوم به من شخوصها من إنسان وحيوان ونبات، لأنه هو عِلّة وجودها ﴿ وجعَلْنا مِنَ الماءِ كلّ شَيءٍ حَيٍّ ﴾، كما أنه هو العلّة السَّببية كذلك في دوامها واستمرارها، ما كُتب لحيّ دوام وبقاء . فهو والحياة قرينان متلازمان لا يفترقان، في حقيقة الايجاد والوجود معاني وصوَراً وهيآت، كما لا يفترقان في الذِّكْر ولا يتزايلان من الأذهان، كلما ذُكر واحد منهما في لسان .

ولفظ الماء في العربية له مَذَاق حلو وعذب، وله جَرْس موسيقي ناعِم، يكاد يكون بهما أرقّ ما تزخر به لغة القرآن السماوية من كَلِم سواحر وعِذاب : ماء، ماءَةٌ، ماً، مَيْ، ماه، وهذه الأخيرة هي أصل هذه الألفاظ جمعاء، أجروا فيها القلْب، وتصرّفوا فيها.. يدلُّ على هذا تصغيرها : مُوَيْه، وَمُوَيْهَة، وجمعها أمْواه في القِلّة، ومِياه في الكثرة .

وهو في اللغات السامية والآرِية عَذْب كذلك، وقليل الأحرف كما في العربية : آبْ، آوْ، صُو، لَو، وُوتَرْ، فاسَرْ.

ولست أعرف في أسماء الأشياء في العربية ــ وكذلك في غيرها من اللغات، فيما أقدّر ــ لفظاً مثله، بعد اسمِ مُوجِده وجاعِلِ كل شيء

حيٍّ منه، جلّ وعلا، تلهَج به ألسنة البشر كلّه ، آناء الزمن كلّه: ساعاته ودقائقه وثوانيه، فلا يكاد يفارق ذكره شفتي انسان، إذ لا يكاد يفارق الارتفاق به معاش أحد في شُرب، وترويق مشروب، وطبخ، وغسل، وتنظيف، واستحمام، وفي سقْي غراس من شجر ونجم ونبات، وإرواء حيوان، وفي كل ما لا يتمّ الارتفاق به من شيء إلّا به، وما أكثر ذلك في حياة الناس أفراداً وجماعات !

أما حديثه في آداب الأممَ فغاية في الاستفاضة، وموقعُه في الأدب العربي، جاهِلِيّهِ وإسلامِيّهِ، في البداوة والحضارة، موقع التصدّر والتقدّم، كموقع التشبيب بالنساء الحِسان، وأوصاف الطبيعة فيه. وهو فيما تجري به الألسُن أوّل «ثلاثة تنفي عن النفس الحزَن»، وهي : «الماء والخُضرة والوَجْه الحسَن» ! ويبدو الافتتان به في الأدب العربي بالغ الروعة في هذه النعوت والتشبيهات والأوصاف، وفي مُضافاته الكثيرة التي ابتكرها الكتّاب والشعراء، فأبدعوا الإبداع كلّه .

وأروع ما نراه من الافتتان به، في القرآن الكريم، في آيات الاستدلال على الصانع المبدع القادر الحكيم — جلّ وعلا — ورُبوبيته، وآلائه بإيجاد هذا العالم العُلْوي والسُّفْلي العجيب، وخلقه الحياةَ فيه، وجعلِه من الماء كلّ شيء حيّ، وإخراجه منه صنوف الشجر والنبات والغروس، وهو شيء واحد، وهي صنوف لا يدركها الحصْر، ولا يبلغها الإحصاء، متباينة الأنواع والهيآت، ومختلفات الثّمار والطّعوم والمنافع.

وإذا صدرنا من القرآن الكريم إلى جملة العِلْم الإسلامي الذي تفرّع منه، استقبلنا فَيْضا من الكلام عليه في التفاسيرِ، وشروح الأحاديث، ومدوَّنات الفقه، وفيْضاً آخر مثله في دواوين اللغة، ومصنَّفات النبات وكُتب البلدان، وكُتب عجائب المخلوقات، إلى جانب ذلك الفيْض الزخار في الأدب : شِعره ونثره الذي تتقطع أعناق الطلب له دون أن تبلغ منه غاية .

أما جهد علماء المسلمين في درس أحوال الماء وخواصّه، والتأليف فيه، تعليلًا وتحليلًا واستقصاء، فإنه على حظّ عظيم من القوة والروْعة والرصانة، أنشؤوا به تاريخاً عِلمياً للماء تتمثّل في مُجمله ومُفصّله عبقريةُ العقل العربي إدراكاً واستنباطاً، ونزعَتُه في الجمع بين النظرية والتطبيق والعِلْم والعمل، كما يبدو هذا جلياً في المباحث والكتب التي ألّفوها في الماء ووجوه إنباطه، وتيسير الانتفاع به.

ويغلب علي ظنّي أن تأليف علماء المسلمين رسائل الماء وكُتُبه، بدأ في أواخر المئة الثانية الهجرية (8م) في العِراق، وربّما كان جابِر بن حَيان الكوفي الكيميائي، المتوفّى سنة مئتين، السابق أو من السابقين إلى ذلك، فقد ذكر محمد بن إسحاق الندِيم (في الفهرست ص 503 ، ط مصر) له : «كتاب الطبيعة الثانية الفاعلة الجامدة، وهي الماء». ثم تتابع بعدَه العلماء على التأليف في الماء، فألّف أبو بكر أحمد بن عَلِي المعروف بابن الوَحْشِيَّة، في بداية المئة الثالثة (9م)، «كتاب عِلل المياه وكيفية

استخراجها وإنباطها في الأرضين المجهولة الأصل». ويظهر أن هذا الكتاب هو أوَّل كتاب كُتِب في الاسلام في شأن إنباط المياه الخَفِية، وهو الجانب العملي في بحوث الماء. وفي المئة الثالثة الهجرية كذلك، ألّف أبو بكر محمد بن زكريا الرازي الفيلسوف الطبيب الأشهر، المتوفّى سنة 311 هـ « رسالة في تبريد الماء على الثلْج »، و « رسالة في العطَش وازدياد الحرارة لذلك »، و « رسالة في العِلّة التي لها زَعم بعض الجهّال أن الثلْج يعطش ». وقد ذكر محمد بن اسحاق النديم هذه الرسائل الثلاث له في الفهرست (ص 420 طـ. مصر). وفي المئة الثالثة أيضاً ألّف أبو محمد عبد الله بن مسلِم بن قُتَيبة الدِّينَوَري البغدادي الأصل المتوفى سنة 276 هـ « كتاب الأشربة »، وألّف العالم المهندس الرياضي أبو بكر محمد بن الحسن الحاسب الكَرَجي في المئة الخامسة (11 م) « كتاب إنباط المياه الخَفِية »، وهو ثاني كتاب عرفناه يعرِض للجانب العملي للماء، بعد كتاب أبي بكر بن الوَحْشِيَّة. وقد عَرَفنا كتاب ابن الوحْشِيَة خبراً، وعرفنا هذا وجوداً وعياناً. وقد وَصَف فيه الحاسب الكَرَجي الأرض وعروقها، وأبعاد الماء في جَوْفها، وحواجزه، وكيفية جَريانه منها مَجْرى الدّم من بَدَن الحيوان، وذَكَر الجبال والأحجار الدالّة على الماء، والنبات الدالّ عليه، وذَكَر أنواع المياه واختلاف طعْمها، ووَصف وسائلَ إصلاح الفاسد منها، وإزالة المُلوحة من الماء المِلْح، ووسائل تصعيده من قَرار البئر، وأحوال « القنّائين » وألبستهم، وذَكَر الموازين التي تُوزن بها الأرَضون، والوزْن بها، والموازين التي اخترعها هو نفسه، وصِفة الوزن بآلة الوزن هذه، وصِفة حفْر الآبار، وحِفْظ الأقْنية من الخَراب. وفي المئة

السادسة الهجرية (12 م)، أو في المئة السابعة، ألّف الحكيم الفيلسوف المؤرخ موفّق الدين عبد اللطيف البغدادي، المتوفّى سنة 629 هـ « مقالة في الماء والشَّراب »، ذكرها في شرح سُنن ابن ماجَه على ما جاء في « كتاب الأربعين الطِّبية المستخرَجة منه » من عمل تلميذه الحافظ محمد ابن يوسف البرزالي (ص 14) وذكرها مترجموه أيضا. وفي المئة الثانية عشرة الهجرية (18 م) ألّف الشيخ العلّامة أحمد بن عبد المنعم الدمَنْهوري شيخ الجامع الأزهر، المتوفّى سنة 1192 م، رسالة : « علم الحياه في استنباط المياه » تلبية لالْتماس الشيخ يوسف بن محمد الزاغوني ثم التونسي، إمام بايِ تونس حسين بن علي تُركي أبي محمد، مؤسّس الامارة الحسيْنية في تونس في سنة 1117 هـ، رتّبها على مقدّمة وبابيْن وخاتمة، وذَكَر أنه « رقّم ما حضره من كلام الحكماء الأعلام »، وأنه « لم يقف على تأليف مستقلّ في هذه الصناعة، بل وقف على نُبذ ذكرت في « عِلْم الفلاحة » استطراداً...[1] ». وَوضع شيخنا الأكبر العلّامة محمود شُكري الألوسي في سنة 1302 هـ كتاب « الماء وما وَرَدَ في شُربه من الآداب »، هذا الذي بين يَديْك.

هذا ذَرْوٌ من التاريخ العِلْمي للماء عند المسلمين، أردتُ من إيراده الإشارة إلى تنبُّههم لشؤون الحياة وعنايتهم بمسائل العُمران والحضارة، والتذكيرَ بارتباط أذهانهم بآفاق العلوم الإنسانية النافعة من أجل بسط سلطانها على حياة المسلمين في مختلف الأزمنة والأمكنة.

(1) الرسالة لديّ، قيد الدرس والتحقيق.

وكتاب « الماء وما وَرَد في شُربه من الآداب » هذا، يُجمل القول في أشياء مما قرّره علماء سلَف الأمة في الماء، ويذكر طبيعة الماء واختلاف آراء قُدامى الأطباء في تغذيته، أو عَدَمها، وحُجج المُثبتين والنَّافين، ويُعيِّن وسائل تعرّف جودة الماء، والطُّرق التي رُسمت له، وهي عشر طُرق ذَكَرها سَرْداً، كما يعرِض لاعتبار خفّته ووسائل تعُّرفها، ويذكر الماء البارد العذْب ومتى يُشرب فينفع أو يضرّ، والماء الحارَّ وَخواصّه وتأثيره، والماء البائِت في الأسْقية وما يستحبّ منه وأدب شُربه. ويذكر أنواع المياه : ماء الغَيث، وماء الثلج والبَرَد والجَمْد، وماء الأنهار، وماء الآبار والقنوات، ويختص بالوصف الأنهار التي اجتمعت فيها الأمور العشرة، فكانت مياهها من ألطف المياه وأخفها وأعذبها وأحلاها، وهي : الفُرات، ودِجلة، والنِّيل، وسَيْحان وجَيْحان اللّذان في الأناطول، كما يختصّ بالوصف بئر زَمْزم. ويتحدث عن سبب تكوّن المياه، وعن ماء البحر وأسباب ملوحته، ومنافع الاغتسال به، ومضارّ شربه، وطُرق تحليَته. ويعقّب على هذا كلّه ببيان آداب شرب الماء المأثورة عن الرسُل والأنبياء. وبعض هذه المباحث كما ترى، يدخل في باب العِلم الصِّرف، وبعض آخر منها يتّصل بالثقافة العامة، ويُنتفع به في جميع الأحوال.

وقد ذكّرني بهذا الكتاب قرارُ حضرة صاحب الجلالة عاهل المغرب، الحسن الثاني، أيّده اللّه : أن تضطلع أكاديمية المملكة المغربية ــ وهو مؤسّسها وراعيها ــ في الندوة الأولى لعام 1402 هـ / 1982 م، ببحث قضايا الماء والغِذاء والسّكان وإيجاد حلول لمشكلاتها القائمة اليوم في بعض أقطار آسية وأفريقية، وفي جملتها المغرب الذي ضربه الجَدْب

وانقطع عنه المطَر في عامين متلاحقين (1401 و 1402 هـ)، فترك في حياته المَعاشية والاقتصادية آثاراً سيّئة اقتضت درْس الوضع القائم والبحث عن حلول لمشكلاته عملية ناجعة، تتلافى الأزمة الآخذة بالخِناق، وتدرأ ما قد يحدُث من مثلها في مؤتنف الزَّمن، حرصاً على تيسير مصالح المعاش لضمان السعادة للشعب.

فشاقني ــ إذ تلقّيتُ من الأكاديمية الدَّعوة إلى المشاركة في هذا الشأن الخطير، فأقبلت على درس الموضوع والكتابة فيه ــ أن أقرن بها تحقيقَ هذا الكتاب ونشره، وإن لم تكن طبيعة بحثه تلتقي بصميم الاقتراح الملَكِي المذكور، فأسلفت إهداء مصوّرة منه إلى الأكاديمية مبدياً لها استعدادي لتحقيق الكتاب إذا وافق نشره نهج مجلّتها الزهراء، فوافاني من السيد الجليل أمين السر الدائم الدكتور عبد اللطيف بَرْبيشْ، الترحيب بما اقترحت والتعجيل بإنفاذه، استحسانا وتقديراً.

وها هو ذا بين أيدي قرّاء العربية.

وقد بسطتُ يد التحقيق فيه، وأضفيْت عليه غلائل من الشروح والتحقيقات ناهزت ضِعفي حجْمه، قصداً إلى زيادة الإفادة والإمتاع لشدَاة الثقافة العربية الاسلامية خاصّة، وهُم هدَفي الأول فيما قدّمتُ من صنيع.

ومن غرائب المصادفات أن اضطلاعي بنَسخ الكِتاب بخطّي وكتابة تعليقاتي عليه، وتحقيقه، قد وافق تمام مضيٍّ مئة عام على إنجاز

مؤلِّفه له، وفي مثل الشهر الذي فرغ منه، وهو 18 من ذي الحجة الحرام سنة 1302 هـ، وأنا انجزت عملي فيه في ختام ذي الحجة الحرام سنة 1402 هـ.

وقد وضع شيخنا الأكبر، رحمه الله، لكتابه ثلاثة عناوين على التوالي :

1) ــ المَوْرِدِ العَذْب الزلال فيما وَرد في الماء من الأقوال.
2) ــ إزالة الظمَا بما وَرد في الما.
3) ــ الماء وما وَرَد في شُربه من الآداب.

وكَتَب العنوان الثالث بقاعدة الثلُث وحروف كبيرة متميِّزة ومشكولة. وواضح أن هذا هو ما استقرّ عليه فكره في تسمية كتابه، وإن أثبتَ الاسم الأول في المقدّمة، ولم يبدّله. وهو اسم مختصر وموافق لذَوق العصر، ولهذا آثرتُه عليهما.

وتسمية المؤلِّفين الكتابَ الواحد بأكثر من اسم واحد، أمر معهود عند الكثيرين. وقد وجدتُ الشيخ العبّاس بن محمد السَّمْلالي المراكُشي وضَع لكتابه « الاعلام بمن حلّ مُراكش وأغْماتَ من الأعلام » تسعة أسماء سردها في مقدّمته، وخوّل الناس أن يسمّوه بما يحلو لهم منها، إمعاناً منه في التفنّن، أو التلذّذ، أو التردّد.

أما مؤلِّف الكتاب العلامة الحُجّة السيد محمود شُكْري الحُسيْني الألوسي البغدادي، فهو باعث النهضة العلمية الأدبية في العراق، وشيخ

المشاهير من علمائه وأدبائه وشعرائه، وأحد أركان الإصلاح الإسلامي ودُعاته في العصر الحديث. علّامة فذّ، وعَلَم شامخ. جلّى في العلوم العقلية والنقلية، وفاق في الكلام والعِلم بالمِلل والنحَل والمذاهب والتاريخ، كما فاق في العربية والأدب، وجمع إلى الاستيعاب الجامع والتطبيق الجلْد الصبُور عُمْقَ التفكير واستقلاله وجراءته، وامتاز بالتحرر من التقليد امتيازَهُ بحرارة الإيمان والزهد وسموّ الذات. وهو سليل الأسرة الألوسِية، أكبر الأسر العلمية التي نبغت في العراق إبّان حكم المماليك في المئة الثالثة عشرة الهجرية، وذاعت شُهرتها في الآفاق. وُلد ببغداد في 19 من شهر رمضان 1273 هـ / 12 أيار 1856 م، في دار جدّه الإمام أبي الثنَاء محمود شهاب الدين الألوسي المفسِّر الفقيه اللُّغَوي المنشيء الأشهر، صاحب « روح المعاني »، ابن العلامة الزاهد رئيس المدرّسين السيّد عبد الله بن السيّد محمود الخطيب الألوسي. تخرّج بأبيه السيّد عبد الله بهاء الدين، ثم بعمّه العلّامة أبي البركات نُعمان خير الدين، وأخذ عن جماعة من علماء بغداد من تلاميذ جدّه، ومن غيرهم من الطارئين على بغداد، وتعلّم التُّركية والفارسية، وجَوَّد الخطّ بأنواعه المستعملة، وتصدّر للتدريس في مَيْعة شبابه، وشُغفَ بالتأليف. وكانت مؤلّفات جدّه وأبيه وعمّه نصب عينيه، وهي مؤلّفات تمتاز بالتنوّع وغزارة المادّة وقوة البحث، وأصالة الرأي والنظر. فأفاد منها ومن مؤلفات الإمامين العظيمين شيخ الإسلام تقي الدين أحمد بن تيمية، وشمس الدين بن قيِّم الجوزِية، نَزْعة التحرّر من التقليد، واتِّباع سُنّة الاجتهاد، وأخذ الشريعة والعقيدة من مصادرهما الصافية ــ القرآن والسنَّة ــ ائتساءً بالصحابة والسلَف الصالح، بعيداً عن أهواء المضلّلين أرباب الزّيغ وفساد العقيدة الذين

شوّهوا صورة الإسلام الحقيقية، بما ألقوا عليه من رسوم البِدَع والجهالات والأهواء المنحرفة، فذهبوا ــ بذلك ــ به بعيداً عن أصالته التي نزل بها الوحْي، وهدى بها النبي ــ عليه الصلاة والسلام ــ الناس. فطفق في دروسه وفيما يؤلّف من كتُب يصحّح العقائد، ويحارب البدَع والتفرّق في الدين. وانتشرت دعوته، فأمَّه الطلّاب المستنيرون، يتلقّون منه العِلْم والرشاد. وعلَت شهرته في العراق وفي آفاق الدنيا في نحو الثلاثين من عمره، حين نشر كتابه « بلوغ الأرَب في أحوال العرَب » الذي دلّ على نبوغه في العلم وفنون المعرفة، وحاز جائزة أُسْكار الثاني مَلكِ السُّويد والنَّروِيج في سنة 1887 م، واحتفلت به الصحف العالمية في الشرق والغرب في حديث طويل بسطتُه في كتابي « محمود شُكري الألوسي وآراؤه اللغَوية ». وقد أوْجد له هذا النبوغ وعلوّ الاسم، مع شَرَف بيته الرفيع، حسّاداً كثيرين، ولا سيما من الحَشْوِيين، نفسوا عليه مكانته العالية في شباب العُمْر، فطفِقوا يُذِيعون عنه قالَة السوء، ويُغرون به الحكّام، ويتخذون من دعوته الإصلاحية وَرُدوده على أهل الزيْغ والبِدَع ذرائع عندهم لإيذائه، وإخْفاء مكانه. فما وُفِّقوا لما أرادوا إلّا يوم جاء بغداد والٍ ألْبَاني، يُقال له عبد الوهّاب باشا، كان يشنأ دُعاة الاصلاح، من جَهل وغَباوة، فَرَفع هذا إلى السلطان عبد الحميد الثاني ما ألْقَوه إليه عنه من باطل القول وزوره، فأصْدر « إرادته » بنَفْيه ونَفْي بعض كبار أصحابه وتلاميذه إلى الأناطول. فأُخِذَ من داره مخفورا ليلة 22 المحرم 1323 هـ. فلمّا بَلَغ رَكْبُه المُوصِل، خرجت جماهير هذه المدينة العربية التي يغلب على أهلها طابع العقيدة النظيفة تستقبله في مُظاهرة صاخبة، مستفظعة أن يكون مثل هذا الإمام الجليل عُرضة للتنكيل والنفي،

وحالت دون الذهاب به إلى الأناطول، منتظرة ما تسفر عنه نتيجة اتّصال أعيان المدينة بالسلطان في إسْلامبُول لإلغاء أمر نَفْيه. وامتدّ بقاء السيد الألوسي في المَوْصِل شهرين، تَسامَع غرماؤه ببغداد خلالهما بهذا المسعى الحميد، فأجمعوا أن يكيدوا له لدى السلطان كَيْداً جديداً يُحبطون به هذا المسعى. ونجحت مقدّمة التدبير السيّء لدى والي ولاية المَوْصِل، ولكنّه أخفق في إسْلامبُول بما صحّح من رأي السلطان عبد الحميد في السيد الألوسي، فَألْغى أمر نفيه، ومشت المدينة في توديعه، ودخل بغداد شامخ الرأس، وقد استقبلته جماهيرها وفي مقدمتها أصدقاؤه وتلاميذه، من مراحل بعيدة، استقبالا منقطع النظير، وانهالت عليه القصائد والرسائل من كل مكان تهنّئه بعودته إلى جهاده وانتصاره على غُرمائه. وعاد إلى هِجّيراه في التأليف والتدريس، غير حافل بغيرهما من مَتاع العاجلة، قانعاً بمُرتَّب التدريس الذي لا يكاد يسدُّ الرمَق، ورافضاً للمناصب التي تعرض عليه، إلا عُضوية مجلس الإدارة في ولاية بغداد، انتخبه البغداديون له، ليحلّ محلّ أحد غُرمائه الذين سبّبوا نفيه وإزعاجه، وأقحمته الدولة العثمانية في ميدان السياسة إبّان الحرب العالمية الأولى، لأول احتلال الجيش البريطاني ثَغْر العراق (الْفاوْ)، فمدينة البصرة، فنَدبته على رأس وفد أن يؤُمّ الرياض لاقناع أميرها عبد العزيز آل سعود أن يحارب البريطانيين إلى جانب الدولة. فشاركه الأمير في شعوره الإسلامي، وما ينبغي للمسلم من نُصرة أخيه المسلم في ساعة العسرة، مؤكّداً له أن سجاياه العربية الإسلامية تملي عليه نسيان ثاراته عند الدولة العثمانية التي قتلت أجداده، وخرّبت ديارهم، ولا سيما الدرعية عاصمتها، ووَدَّ لو ينضمّ إليها لَوْلا أنّ ما يراه من قوة أعدائها، ومن ضعْفه وضعْف الدولة يفرض عليه الحياد،

لأن دخوله غِمار الحرب ينتهي إلى تقويض إمارته الناشئة ولا يفيد الدولة شيئاً. وأنهى السيد الألوسي إلى الدولة هذه النتيجة، حتى إذا بلغ في عودته دمشْقَ، وجد ناساً من أعداء الإصلاح قد كادوا له عند جَمال باشا السفّاح قائد الجيش الرابع في سورية، وألقوا في روعه أنه هو الذي زيّن لأمير الرياض موقف الحياد. ولكن جمال باشا صمّ أذنه عن هذه الفِرية، لِما كان يعلمه عن السيد الألوسي من سموّ الذات والتجرد والإخلاص. ذكر ذلك له جمال باشا نفسه عند التقائه بدمشق. ولما احتل البريطانيون بغداد في آذار 1917 م، حاسنوا السيد الألوسي، لِما سبق إلى علمهم من مكانته في نفوس الأمة، وأرادوه على الافتاء فأباه، ثم فاوضوه في إحداث منصب قاضي القضاة له، فاعتذر، واجتاحت العراق أزْمة اقتصادية عنيفة، فبعثوا إليه على يد الكَرْمَلي بالذهب، فردّه في شَمَم وإباء، كما أعلن الكَرْملي ذلك في حفل تأبين السيد الألوسي في المجمع العِلمي العربي بدمشق. وهكذا دَرَج على هذا الخطّ المستقيم من الزُّهد والترفع، والانصراف التامّ إلى العبادة ونشر العِلم، إلى أن أدركته الوفاة في رابع شوال 1342 هـ. وكان يوم دفنه من أعظم ما شهدت بغداد في تشييع إمام عظيم إلى مثواه الأخير، فنعتْه الصّحف، وأقيمت له مجالس العزاء ببغداد وغيرها من مدن العراق، ورثاه الشعراء والكتّاب في العراق والشّام ومصر والكُويت ونجد، وأبّنه تلاميذه ببغداد، والمجمع العلمي العربي بدمشق.

بدأ رحمه الله، يؤلّف في الحادية والعشرين من عمره. وقد بلغت كتُبه زُهاء الستين بين رسائل صغيرة وكتُب كبيرة من جزءين وثلاثة

أجزاء، أذكر منها في تصحيح العقائد « غاية الأماني (ط) » جزءان كبيران. و« المِنحة الإلهيّة ــ أو مختصر التّحفة (ط) » جزء كبير، وفي بعض علوم القرآن « كتاب ما دلّ عليه القرآن مما يعضد الهيأة الجديدة (ط) »، وفي العربية « الضّرائر وما يسوغ للشاعر دون الناثر (ط) »، و « كتاب النحت (خ) »، و « الجَوْهَر الثمين في بيان حقيقة التضمين (خ) »، و« الجواب عما استبهم من الأسئلة المتعلقة بحروف المعجم (خ) »، و « كتاب ما اشتملت عليه حروف المعجم من الدقائق والحِكم (خ)، و « شرح أرجوزة تأكيد الألوان (ط) »، و« الفتاوىٰ في اللغة والنحو وغيرهما (خ) ». ومن كتبه التاريخية « بلوغ الأرب في أحوال العرب (ط) »، ثلاثة أجزاء ، و « عقوبات العرب في جاهليتها وحدود المعاصي التي يرتكبها بعضهم (ط) »، و « أخبار بغداد وما والاها من البلاد (خ) »، و « المسك الأذفر في تراجم علماء القرن الثالث عشر (ط) »، و « تاريخ مساجد بغداد وآثارها »، و « تاريخ نجْد ». وله في الأنساب « شرح منظومة عمود النسب » للشيخ أحمد المالِكي الشنقِيطي، (خ) » جزءان كبيران. وفي أدب المراسلات : « بدائع الإنشاء (خ) » جزءان، و« رياض الناظرين في مراسلات المعاصرين (خ) » جزءان. وفي المنطِق « الأجوبة المرضية عن الأسئلة المنطقية (خ) ». وفي العَروض « المفروض من عِلم العروض (خ) ». وفي النقد الأدبي « القول الظريف في تزييف دَعْوى ناصيف (خ) » : نقد لمقامات مَجْمَع البَحْرَين. وفي الموضوعات العامة « الماء وما وَرَد في شُربه من الآداب » هذا.

وحقّق ونَشَر من آثار السلَف الكبار عشرة كتب عظيمة القدر، وهي : « تأويل مختلف الحديث » لابن قُتْيبة الدِّينَوَرِي البغدادي، و« منهاج السنَّة النبوية »، و « بيان موافقة صريح المعقول لصحيح المنقول »، و « تفسير سورة الاخلاص » و « جواب أهل العِلم والايمان ». وهذه الكتب الأربعة لشيخ الاسلام تقي الدين بن تَيْمِيّة، و « شفاء العليل في القضاء والقَدَر والتعليل »، و « مفتاح دار السعادة » وهما للامام ابن قيّم الجوزية، و « ميزان المقادير في بيان التقادير » لرضي الدين محمد القَزْوِيني، و « نُخَب الذخائر في أحوال الجواهر » لمحمد بن ابراهيم السِّنْجاري المعروف بابن الأكْفاني ـــ وقد نشر هذين الكتابين في مجلة المقتبس للأستاذ محمد كُرْد عَلِي، و « كتاب البِئر » لابن الأعرابي.

وفضائل هذا الامام الجليل، وفواضله في العِلم والأدب والأخلاق والزهد والإخلاص والترفّع، مثلٌ كرائِم يُؤتسى بها. وقد وفيْت حقّها بعض الوفاء في كتابَيَّ : « أعلام العراق »، و « محمودِ شُكْري الألوسي وآراؤه اللغَوية »، وترجمتي الأولى له التي نشرتها في مجلة المَنَار ، وصَدَّرَها صاحبها العلّامة المجتهد الكبير السيد محمد رشيد رِضا بمقدمة أشاد فيها بجلالة قدْره، وعَنْون لها ب « عالِم العراق ورحلة أهل الآفاق ».

بغداد، متمّ ذي الحجة سنة 1402

محمد بهجة الأثري

المورد العذب الزلال فيما ورد في الماء من الأقوال

إزالة الظما بما ورد في الما

جمع الفقير إليه تعالى السيد محمود شكري

ابن السيد عبد الله بهاء الدين

ابن أبي الثناء شهاب الدين

الآلوسي الحسيني البغدادي

غفر الله لهم

الماء وما ورد في شربه من الآداب

اعتنى بجمعه الفقير إليه تعالى محمود شكري

سقاه الله تعالى من حوض كوثره

نموذج من خط المؤلف

بسم الله الرحمن الرحيم

لك الحمد يا من تسلسلت جداول نعمه على رياض الاكوان . وتدفقت
ينابيع حكمه فسالت في انهر الملكوت وابحر العرفان . فسبحانه
من اله عظيم الشان قديم الاحسان . لا يدرك قعر حكمته برشي العقول
ودلاء الافهام والاذهان . والصلوة والسلام على من اطفى حر هواجر
القلوب بعذب زلال بعثته . وشفى غليل الصدور بنمير آيات نبوته .
ومعجزات رسالته . وعلى آله واصحابه الذين ارتووا من عين معين العرفان
ورووا عطاشى اليقين بفيض مدرار غيثهم الهتان . فاصبح غصن
الاسلام بهم غضا طريا . وروض الدين المحمدي بما اجروا من انهار
استنباطهم عن كل شين عريا . اما بعد فقد التمس مني بعض الاخوان
صانه الله تعالى من كيد هذا الزمان . ان احرر له رسالة تحتوي على
ما ورد في الماء . مما قرره السلف الاعلام وفحول العلماء . حيث انه
قد اصابه سقم عافاه الله تعالى وشفاه اضرم في جوفه نارا . واثار فيه
حرارة ترمي بشررا . فغدا لا يلتذ بغير ذكر المياه . ولا يجري
في خاطره سوى عذوبة عذبها فهي غاية مناه . وكرر طلبه المرة بعد
المرة . فاجبته ممتثلا امره . مع ان ذلك غني عن البيان .
لا يحتاج الى دليل ولا برهان . وسميت ما جمعته . وكتبته وحررته .
ازالة الظما بما ورد في الما . واسئله تعالى العصمة من الزلل .
والتوفيق في القول والعمل . انه ولي الهداية والتوفيق . نعم المولى ونعم

ابي

ان شرب سؤر المسلم مما لا بأس به وان كان كثير من الطباع ينفر عنه لانه صلى الله عليه وسلم كان يشرب من انائه ويعطي سؤره من حضر من اصحابه عليه الصلوة والسلام . وثبت في الصحيح انه صلى الله تعالى عليه وسلم شرب من قدح فيه لبن وشرب منه الحاضرون من الصحابة رضوان الله تعالى عليهم اجمعين واحدا بعد واحد . وصح عنه صلى الله تعالى عليه وسلم انه قال من التواضع شربك من سؤر اخيك . وقد شاع بين الناس ان سؤر المؤمن شفاء واذا زيد عليه صار ذلك حديث مروي عن رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم مع انه لا اصل له . قال المجد نور الله تعالى مرقده . واشكنه مولاه خلده في شرح الطريقة وسؤر المؤمن شفاء وان اشتهر حديثا ليس بحديث كما نص عليه المحدثون انتهى . وبقيت مباحث كثيرة تتعلق بالماء من حيث طهوريته ونجاسته وقلته وكثرته شرعا وبيان حقيقته وكونه كذلك اعرضنا عن ذكرها في هذا المقام . خوفا من الضجر والملل ولا سيما ذوي الاسقام . ونسأل الله تعالى ان يروينا من حوض الكوثر الذي اعطيه سيد البشر . ويميرنا بمزيد رؤيته . يوم يتجلى لخليقته . وان الله يغسلنا من الخطايا بماء الثلج والبرد . يوم يفر المرء من اخيه وامه وابيه والصاحبة والولد . والحمد لله الذي وفقنا للاتمام . وعلى رسوله وخيرته من خلقه سيدنا محمد افضل الصلوة واكمل السلام . وعلى آله واصحابه السادات الاعلام . وعلى التابعين لهم باحسان الى يوم القيام . ما امحى الورق بالصلوة وما ابر . قد افشا بالسلام والرعد جلجل

١٣٠٢
سنة
١٨ ذي الحجة الحرام
شكري

بسم الله الرحمن الرحيم

(١)

يذكر «الماء»، فترد معه في الخاطر «الحياةُ»،
وتمثلُ في الذهن جملة ما يقوم به من شخوصها..
من إنسان، وحيوان، ونبات؛ لأنه هو علة
وجودها ﴿وَجَعَلْنَا مِنَ الْمَاءِ كُلَّ شَيْءٍ حَيٍّ﴾.
كما أنه هو العلة السببية كذلك في دوامها واستمرارها
ما كُتب لحيٍّ دوامٌ وبقاء.. فهو والحياة قرينان
متلازمان، لا يفترقان في حقيقة الإيجاد والوجود
معانيَ وصُوَراً وهيآتٍ، كما لا يفترقان في الذِكر
ولا يتزايلان من الأذهان، كلما ذُكر واحد منهما
في لسان.

نموذج من خط المحقق.

به لغة القرآن السماوية من كلم سواحر وعذاب :

ماء ، ماءة ، ماً ، ميْ ، ماه .. وهذه الأخيرة

هي أصل هذه الألفاظ جمعاء ، أجروا فيها القلب ،

وتصرّفوا فيها .. يدل على هذا تصغيرها : مُوَيه

ومُوَيْهة ، وجمعها : أمواه في القلة ، ومياه

في الكثرة .

وهو في اللغات السامية والآرية عذب كذلك ،

وقليل الأحرف كما في العربية : آبْ ، آوْ ، صُو ،

لُو ، وُوتَرْ ، قاسر .

ولست أعرف في أسماء الأشياء في العربية —

وكذلك في غيرها من اللغات ، فيما أقدّر — لفظاً

مثله ، بعد اسم موجده وجاعل كل شيء حيّ منه ،

جلّ وعلا ، تلهج به ألسنة البشر كلّه ، آناء الزمن كلّه :

(٧١) دانيال نفسه ، فتى إسرائيليّ من أهل المئة السادسة قبل الميلاد ، وقع في أسر « بُخْتَنَصَّر » الذي غزا « أورْشليم » فطَهَّرَها من رجس الإسرائيليين الذين بغوا على « فِلَسْطِين » وأقاموا في بعض أجزائها دويلة لهم قصيرة العمر ، ونُقِل دانيال نفسه - بعد الاستيلاء عليها - فيمن نُقِل إلى « بابِلَ » . وقد وضع الحاخامون سِفْراً سَمَّوه « سِفْرَ دانيال » فيما وضعوا من كتب « العهد القديم » ، ورَوَوا فيه نجاته ونجاة رفقائه مما زعموه من أتون النار ، ويُوَثِّون اليومَ خلفاء وَضَعَة « العهد القديم » و« التَّلْمُود » بمثل هذا الزعم عن أَتُّونات « هِتْلَرَ القائد الجرماني » التي يقول الصَّهاينة إنه أحرق فيها اليهود ممن خانوا ألمانية وكانوا من أسباب هزيمتها في الحرب العالمية الأُولى (١٩١٤-١٩١٨ م) ، ولكن لم يزعموا نجاة أحد منهم لأمرٍ ما يخفونه .

الماءُ وما وَرَدَ في شُرْبِهِ من الآداب

لك الحمد، يامَنْ تسلسلت جداول نِعَمِه على رياض الأكوانِ، وتدفقت ينابيع حِكَمه فسالت في أنهُر الملكوت وأبحُر العِرفان، فسبحانَه من إلٰه عظيم الشان، قديم الإحسان، لا يُدرك قَعر حِكمته بِرِشاء [1] العُقول ودِلاء الأفهام والأذهان.

---

(1) كتبت « رشى » في الأصل، وهي بالمدّ « الرِّشاء » :رَسَنَ الدّلْو الذي يتوصل به إلى الماء. جمعه أرشيَة. استعارَهُ للعقول بجامع امتداده والتوصل به إلى ما ينفع. وهمزته أصلها واو (ر / ش / و). قال ابن سيدَه : « وإنما حملناه على الواو، لأنه يوصل به إلى الماء كما يوصل بالرشوة إلى ما يطلب من الأشياء ». وعكس ابن الأثير أبو السعادات المبارك بن محمد الجَزَرى فذهب إلى أن الرشْوة مأخوذة من الرِّشاء. قال في تفسير الحديث الشريف : « لَعَن الله الراشِيَ والمرتشي والرائش » : الرِّشوة، والرُّشوة : الوصلة إلى الحاجة بالمصانعة، وأصله من « الرِّشا » [كذا في أصل كتابه المطبوع : « النهاية في غريب الحديث والأثر »] « الذي يتوصل به إلى الماء ».

والصلاة والسلام على من أطفأ حرَّ هَواجر القلوب بعذْب زُلال بِعثته، وشَفَى غَليل الصدور بِنَمير [2] آيات نبوَّته ومعجزات رسالته، وعلى آله وأصحابه الذين ارتَوَوا من عَيْن مَعين [3] العرفان، ورَوَّوا عَطَاشى اليقين بفيض مِدرار غيثهم الهتَّان، فأصبح غُصن الإسلام بهم غضًّا طريّاً، وآض [4] رَوْض الدين المحمدي بما أجروا من أنابيب أسِنَّتهم عن كل شيء عَرِياً.

---

(2) الغليل : شدَّة العطَش وحرارته ـــ النَّمير : الطيِّب الناجع من الرِّيّ.

(3) المَعِين : السائل، وقيل : الجاري على وجه الأرض، وقيل : الماء العذب الغزير، وكل ذلك من السهولة. واشتقاقه إما من العُيون، فهو مفعول من : عِنْتُ الماء، إذا استنبطته، وإما من المَعْن، وهو الاستقاء. وفي التنزيل العزيز : ﴿ وآويناهُما إلى رَبوة ذَاتِ قَرَارٍ وَمَعِين ﴾. قال الفرَّاء : « ذات قَرار : أرض منبسطة، ومَعِين : الماء الظاهر الجاري. قال : ولك أن تجعل المَعِين مفعولًا، من العيون، ولك أن تجعله فعيلًا من الماعون، يكون أصله المَعْن ». والماعون : هو الماء بعينه.

(4) آض يَئيض، أيضاً : عاد، ويقال : آض إليه، وآض الثلج ماءً : تحوَّل إليه. قال القاضي عياض في « مشارق الأنوار » 1 /155 : « ومنه قولهم : قال أيضاً، أي : رجع وعاد إليه مرة أخرى ».

أما بعد، فقد التمس مِنِّي بعض الاخوان، صانه الله تعالى من كَيد هذا الزمان، أن أحرِّر له رسالة تحتوي على ما وَرَد في الماء، مما قرره السلَف الأعلام وفحول العلماء، حيث إنه قد أصابه سقَم — عافاه الله تعالى وشافاه — أَضْرم في جوفه ناراً، وأثار فيه حرارة ترمي شراراً [5]، فغدا لا يلتذُّ بغير ذكر المياه، ولا يجري في خاطره سوى عذوبة عَذْبها فهي غاية مُناه. وكرَّر طلبه المرة بعد المرة، فأجبتُه أمرَه. مع أن ذلك غني عن البيان، لا يحتاج إلى دليل ولا برهان.

وسمَّيت ما جمعته، وكتبته وحررته : « الماء وما ورد في شُربه من الآداب » [6] وأسأله تعالى العصمة من الزلَل، والتوفيق في القول والعمل، إنه ولي الهداية والتوفيق، نِعم المولى ونعم الرفيق.

---

(5) الشَّرار : ما تطاير من النار، واحدته شَرَارَة، وهو الشَّرَر، واحدته شَرَرَة، وفي التنزيل العزيز : ﴿ إنّها تَرمي بشَرَر كالقَصْر ﴾. ومن الأول قول الشاعر :

« أو كَشرارِ العَلاةِ يَضْرِبُها القَيْـ
ـنُ، علـى كلِّ وِجْهَـةٍ تَثِبُ »

ويُطلق الشَّرار حديثاً في لغة العلم على الضوء الحادث من التفريغ الكهربي.

(6) تنظر مقدمة التحقيق.

فأقول ـــ والله المستعان، وعليه التُّكْلان : (7)

إعلم أن الماء مادة الحيوان، وسيّد الشراب، وأحد أركان العالم، بل رُكْنه الأصلي. فإن السماوات خُلقت من بُخاره، والأرض من زَبَده. وقد جعل الله تعالى منه كل شيء حي.

وقد اختلف فيه الأطباء : هل يغذي البدَن ؟ على قولين : فأثبتت طائفة التغذية، بناء على ما يشاهد من النُّمو والزيادة والقوة في البدن به، ولا سيما عند شدَّة الحاجة إليه.

قالوا : وبين الحيوان والنبات قَدْر مشترك من وجوه عديدة، منها النمُوُّ والاغتذاء والاعتدال. وفي النبات قوة حسّ، وحركة تناسبه، ولهذا كان غذاء النبات بالماء. فما يُنكر أن يكون للحيوان به نوع غذاء، وأن يكون جزءاً من غذائه التام.

---

(7) التُّكْلان : التوكل، أي الاعتماد، والمتوكل على الله : الذي يعلم أن الله تعالى كافل أمره، فيركن إليه وحده في مسعاه وعمله، ولا يتوكل على غيره. (التاء فيه مبدلة من الواو).

قالوا : ونحن لا ننكر أن قوة الغذاء ومعظمه في الطعام، وإنما أنكَرْنا أن لا تكون للماء تغذية البتّة [8].

قالوا : وأيضاً الطعام، إنما يغذّي بما فيه من المائية، ولولاها لما حصلت به التغذية.

قالوا : ولأن الماء مادة حياة الحيوان والنبات، ولا ريب أن ما كان أقرب إلى مادة الشيء حصلت به التغذية، فكيف إذا كانت مادته الأصلية ؟ قال الله تعالى : ﴿ وَجَعلْنا من الماء كلّ شيء حيّ ﴾ [9].

---

(8) البتَّة : أي قطعاً، يقال : لا أفعله بتَّةً، ولا أفعله البتّةَ، لكل أمر يُمْضى لا رَجعة فيه ولا التواء، ونصبه على المصدر. وفي المعجم الوسيط : « بتّة، والبتة، وألبتة »، الثالثة بقطع ألف « أل » التعريف، وهو غير معهود في كلام العرب، وقد زعم بعض المتأخرين سماعه، وَرُدَّ، وتفصيله في تاج العروس (ب /ت /ت)، وكشف الطرة عن الغرة (ص 90).

(9) من الآية الثلاثين في سورة الأنبياء : ﴿ أو لم ير الذين كفروا أن السموات والأرض كانتا رَتْقاً ففتقناهما وجعلنا من الماء كل شيء حي، أفلا يؤمنون ﴾.

فكيف ينكَر حصول التغذية بما هو مادة الحياة على الإطلاق ؟

قالوا : وقد رأينا العطْشان إذا حصل له الري بالماء البارد تراجعت إليه قُواه ونشاطه وحركته، وصَبرَ عن الطعام، وانتفع بالقدْر اليسير منه. ورأينا العطشان لا ينتفع بالقدر الكثير من الطعام، ولا يُحدث فيه القوة والاغتذاء.

ونحن لا ننكر أن الماء يُنْفِذ الغذاء إلى أجزاء البدن، وإلى جميع الأعضاء، وأنه لا يتم أمر الغذاء إلا به، وإنما ننكر على من سلب قوة التغذية عنه البتّة، ويكاد قوله عندنا يدخل في إنكار الأمور الوجدانية.

وأنكرت طائفة أخرى حصول التغذية به. واحتجَّت بأمور، يرجع حاصلها إلى عدم الاكتفاء به، وأنه لا يقوم مقام الطعام، وأنه لا يزيد في نموّ الأعضاء، ولا يخلِّف عليها بَدَلَ ما حللته الحرارة، ونحو ذلك مما لا ينكره أصحاب التغذية، فإنهم يجعلون تغذيته بحسب جَوهره، ولطافته، ورِقّته. وتغذية كل شيء بحَسَبه.

وقد شوهد الهواء الرطْب البارد الليِّن اللذيذ يغذي بحَسبه، والرائحة الطيبة تغذي نوعاً من الغذاء.

فتغذية الماء أظهر وأظهر [10]، وهو بارد رَطْب، يقمع الحرارة، ويحفظ على البدن رطوباته، ويردّ عليه بدَلَ ما تَحَلل منها، ويرقق الغذاء، وينفذه في العُروق.

وتُعتبر جودة الماء من عشرة طرق [11] :

ـ أحدها [12] من لَونه، بأن يكون صافياً.
ـ الثاني من رائحته، بأن لا تكون له رائحة البتّة.
ـ الثالث من طعمه، بأن يكون عذب الطعم، حُلوَه، كالنِّيل والفُرات [13].
ـ الرابع من وَزْنه، بأن يكون خفيفاً رقيق القِوام.
ـ الخامس من مَجراه، بأن يكون طيِّب المجرى والمسلك.
ـ من منبَعه، بأن يكون بعيد المنبع.
ـ السابع من بروزه للشمس والريح، بأن لا يكون مختفياً تحت

---

(10) و « أظهر » الثانية في الأصل « وظهر »، وأراها زيادة من سبق القلم.

(11) عشرة طرق، وعشر طرق، لأن الطريق يذكر ويؤنث.

(12) الأصل « وأحدها ».

(13) سيذكرهما المؤلف رحمه الله بشيء من التفصيل.

الأرض، فلا تتمكن الشمس والريح من قِصارته (14).

ـ الثامن من حَرَكته، بأن يكون سريع الجري والحركة.

ـ التاسع من كَثرته، بأن تكون له كثرة تدفع الفَضَلات المخالطة له.

ـ العاشر من مصبِّه، بأن يكون آخذاً من الشمال إلى الجنوب، أو من المغرب إلى المشرق.

وإذا اعتبرتَ هذه الأوصاف، لم تجدْها بكاملها إلا في الأنهار الأربعة : النِّيل، والفُرات، وسَيْحان، وجَيْحان (15).

---

(14) القِصارة، بكسر القاف : مصدر قَصر الثوب يَقصره قِصارة، إذا دقه وحوره، ومنه القصَّار والمقصِّر : المحوِّر للثياب، لأنه يدقها بالقصَرَة أو المِقْصرة، وكلتاهما اسم للقطعة من الخشب، وحرفته القِصارة. كأن المؤلف رحمه الله أراد تصفية الريح الماءَ.

(15) كتبا في الأصل « سيحون وجيحون » من سبق القلم، وصحيحهما ما أثبت وِفاقاً لنص الحديث الشريف الذي سيورده المؤلف رحمه الله عن الصحيحين : صحيح الإمام البخاري، وصحيح الإمام مسلم. وسَيْحان وجَيْحان نهران في الأناطول، « آسية الصغرى »، وأولهما أطلقه العرب على نهر سارُس « Sarus »، وسمته الموسوعة العربية الميسَّرة « سيهان » تحريفاً. وهو يخرج من عيون عند مدينة سَيحان من ناحية ملطية، ويجري من

الشمال إلى الجنوب قرب نهر جَيْحان، ويمر على سور أذنة « أطنه ـــ اليوم »، ويصُب في البحر المتوسط قرب مرسين. وهو أصغر من جيحان. وقد استعذبت ماءه. وثانيهما « جيحان » أطلقه العرب على نهر بيرامس، وهو يخرج من عيون وراء بلاد مرعش في الأناطول، ويجري من الشمال إلى الجنوب، ويصب في البحر المتوسط في خليج آياس. وهو يقارب نهر الفرات في الكبر دون الطول.

أما سيحون وجيحون فهما نهران عظيمان في وسط آسية. ويعرف سيحون باسم « نهر الشّاش »، والشاش كورة في ما وراء النهر، وتعرف اليوم باسم طاشقند « طشقند ». وكان اسمه قبل الفتح الإسلامي « جكزارتس » يخرج عموده من بلاد الترك، ويعظم من أنهار تجتمع إليه، ويصبّ في بحيرة خوارزم « بحر آرال » في الجزء الشمالي الشرقي منها. وطول هذا النهر 2,090 كم، وهو الآن داخل ممتلكات الاتحاد السوفييتي من منابعه إلى مصبّه. وجيحون نهر عظيم كذلك، طوله 2,523 كم، اسمه القديم أوكْزس « Oxus »، ثم عرف باسم أمويه، أو أموديا، وباسم نهر بلخ لأنه يمر بأعمالها. وكان نهر جيحون القديم يعدّ الحد الفاصل بين ايران وتوران. فما كان شماله، أي وراءه من أقاليم سماها العرب « ما وراء النهر » وهو نهر جيحون. ومنابعه من بحيرة في التُّبَّت الصغرى وفي الفامير « Pamir » وتصب فيه روافد كثيرة، ويجري باتجاهٍ غربي وشمالي حتى « دلتاه » في جنوب بحيرة خوارزم. وهذان النهران غير مقصودَيْن في الحديث الشريف.

وفي الصحيحين من حديث أبي هريرة [16] رضي الله تعالى عنه، قال : « قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلّم : سَيْحان وجَيْحان والنِّيل والفُرات كلّها من أنهار الجنة ».

وتُعتبر خفّة الماء من ثلاثة أوجه :
أحدها سرعة قبوله للحرِّ والبرْد. قال أبقْراط [17] : الماء الذي يسخُن سريعاً، ويبرد سريعاً، أخفُّ المياه.

---

(16) هو عبد الرحمٰن بن صخر الأوْسي، الصحابي الجليل المشهور، رضي الله عنه. اشتهر بكُنيته هذه، وأدى ذلك إلى الاختلاف في اسمه واسم أبيه على ثمانية عشر قولًا. وما ذكرته أشهر هذه الأقوال. أسلم سنة سبع للهجرة، ولزم صحبة النبي عليه الصلاة والسلام، وكان يدور معه حيث قصد. رَوَى عنه 5374 حديثاً، نقلها عنه أكثر من ثمان مِئة رجل بين صحابي وتابعي. وولي إمرة المدينة مدّة. ولما صارت الخلافة إلى عمر بن الخطاب رضي الله عنه، استعمله على « البحرين ».وُلد سنة إحدى وعشرين قبل الهجرة، وتوفي في المدينة سنة تسع وخمسين من الهجرة.

(17) أبُقْراط، ويقال أيضا : بُقْراط بن أقْلِيدس : أشهر أطباء اليونانيين، وسيّد الطبيعيين في عصره. وكان في الشهرة بعده جالينوس، عاش تسعاً وخمسين سنة. وسيرته طويلة، تُنظر في فهرست النديم، وإخبار العلماء في أَخبار الحكماء، وطبقات الأطباء.

الثاني، بالميزان.

الثالث، أن تبلّ قُطْنتان متساويتا الوزن بماءين مختلفين، ثم تُجفّفا بالغاً، ثم تُوزَنا، فأيُّهما كانت أخفّ فماؤها كذلك.

والماء وإن كان في الأصل بارداً رطْباً، فإنّ قُوَّته تنتقل وتتغيّر، لأسباب عارضة توجب انتقالها. فإنّ الماء المكشوف للشّمال، المستور عن الجهات الأُخر، يكون بارداً، وفيه يُبْس مكتسَب من ريح الشَّمال. وكذلك الحُكم على سائر الجهات الأُخَر. والماء الذي ينبُع من المعادن، يكون على طبيعة ذلك المعدِن ويؤَثِّر في البدَن تأثيره.

والماء العَذْب نافع للمرضى والأصحَّاء. والبارد منه أنفع وألذّ ولا ينبغِي شُربه على الرِّيق [18]، ولا عُقيب الجِماع، ولا عند الانتباه من النوم، ولا عَقيب الحمّام، ولا عَقيب أكل الفاكهة. وأما على الطعام، فلا بأس به إذا اضطُرّ إليه، بل يتعيّن، ولا يكثر منه، بل يمتصُّه مصّاً، فإنه لا يضرُّه البتّة، بل يُقوي المعِدة، ويُنهض الشهوة، ويُزيل العطَش.

---

(18) الطب الحديث يرى في شرب الماء على الريق رأيا مخالفا لآراء الأطباء الأوّلين.

والماء الفاترِ ينفخ، ويفعل ضدّ ما ذكرناه.

وبائِتُه أجْوَدُ من طَرِيِّه.

والبارد ينفع من داخل أكثر من نفعه مِن خارج، والحارُّ بالعكس، وينفع البارد من عُفونة الدّمِ، وصُعود الأبخِرة من الرأس، ويدفع العفونات، ويوافق الأمزِجة والأسنان والأزمان والأماكن الحارَّة، ويضُرّ كل حالة تحتاج إلى نُضْج وتحليل كالزكام والأورام. والشديد البرودة منه يؤذي الأسنان، والإدمان عليه يُحدث انفجار الدّمِ، والنَّزْلات، وأوجاع الصدر.

والبارد والحارّ بإفراط، ضارّان للعصب ولأكثر الأعضاء، لأن أحدهما محلِّل، والآخر مكثِّف.

والماء الحارّ يُسكّن لَذْع الأخلاط الحارّة، ويحلّل وينضِج ويخرج الفُضول، ويرطب، ويسخّن، ويُفسد الهضمَ شُربه، ويطفو بالطعام إلى أعالي المعدة ويُرخيها، ولا يسرع في تسكين العَطش، ويُذبل البدن، ويؤدّي إلى أمراض رديئة [19]، ويضرّ في أكثر الأمراض، على أنه صالح للشيوخ، وأصحاب الصَّرْع، والصُّداع البارد، والرَّمَد،

---

(19) في الأصل « ردية ».

وأنفع ما استعمل مِن خارج. ولاَ يصحُّ في المسخَّن بالشمس حديث ولا أثر، ولا كرِهَه أحد من قدماء الأطبّاء ولا عابوه.

والشّديد السُّخونة منه يذيب شَحْم الكُلَى.

وعلى كل حال إن الماء البارد أنفع، ولا سيما إذا خالَطه ما يحلّيه، كالعسَل والزبيب والسكّر [20] ونحو ذلك، فإنه من أنفع ما يدخل البدن ويحفظ عليه صِحته. ولهذا كان أحب الشراب إلى رسول الله، صلّى الله تعالى عليه وسلّم، البارِدُ الحُلْو.

---

(20) في كتاب الأربعين الطبية المستخرجة من سنن ابن ماجَهْ، كلام مستطاب في العسَل والسكّر. وقد ذكر في أثنائه أن بعض أطباء المغرب عمل مقالة في العسل وتفضيله على السكر، وتغالى حتى تعصب على السكر، وصرح بالنهي عنه، وأطلق القول ولم يفصله. وقال الشارح العلّامة الحكيم عبد اللطيف البغدادي : « وقد كنا أزمعنا أن نعمل مقالة في المحاكمة بين السكر والعسل، كما عملنا محاكمة بين الزبيب والتمر ».

ولمّا كان الماء البائت أنفع من الذي يُشرَب وقت استقائه، قال النبي صلّى الله تعالى عليه وسلّم، وقد دخل إلى حائط [21] أبي الهيثم بن التَّيِّهان [22] : « هل مِنْ ماء بات في شَنِّه ؟ » [23]. فأتاه به

---

(21) الحائط : البستان من النخيل، إذا كان عليه جدار يحيط به، وقد تكرر في الحديث، جمعه الحوائط، وفي الحديث : « على أهل الحوائط حفظها بالنهار »، يعني البساتين، وهو عام فيها. فإذا لم يُحيَّط عليها فهي ضاحية.

(22) هو مالك بن التَّيِّهان (مشددة الياء المفتوحة، وتُكسر أيضاً، ومعناها الجسور، يركَب رأسه في الأمور)، الأنصاري الأوسي : صحابي، أحد النُّقَباء الاثنى عشر. شهد بَدْراً وأُحُداً والمشاهد كلّها، وتوفي في خلافة عمر رضي الله عنهما. وقيل : شهد صِفِّين مع علي رضي الله عنه، وقتل بها في سنة 37 هـ. وكان شاعراً، له مرثاة في النبي ﷺ.

(23) الشَّنُّ، والشَّنَّة : الْخَلَق من كلّ آنية صُنعت من جلد، كالقِربة ونحوها، جمعهما شِنان. وفي المثل : « لا يُقَعْقَعُ لي بِالشِّنان ». وفي الحديث أنه « أمر بالماء، فَقُرِّسَ في الشِّنَان »، يعني بُرِّد في الأسقِية والقِرب الخُلقان. قالوا : وإنما ذكر الشِّنان دون الجُدُد، لأنها أشدُّ تبريداً للماء من الجُدد.

فشربه. رواه البخاري، ولفظه « إن كان عندكم ماء بات في شَنٍّ، وإلّا كَرِعْنا » [24]**.**

والماء البائت بمنزلة العَجين الخمير، والذي شُرب لوقته بمنزلة الفَطير. وأيضا فإنّ الأجزاء الترابية والأرضية تفارقه إذا بات.

وقد ذُكر أن النبي، صلّى الله تعالى عليه وسلّم، كان يُستعذَب له الماء، ويُختار البائت منه، أي : يُختار له الماء العذب من بعيدٍ، خارجَ المدينة [25] **لأن ماءها كان مالحاً أو مُراً، والعذب من الماء ما لا ملوحة فيه.**

---

(24) كَرَع في الماء يكْرَع كروعاً وكَرْعاً : تناوله بِفِيه من موضعه، من غير أن يشرب بكفّيه ولا بإناء. والكَرَع، والكُرَاع : ماء السماء يُكْرَعُ فيه.

(25) إسم لمدينة رسول الله ﷺ، ولها تسعة وعشرون اسماً، أشهرها : المدينة، ويثرب، وطِيبة، وطابة. والمشهور في النسبة إليها : مَدَني، وإلى غيرها من المدن مَدِيني ؛ للفرق لا لعلّة أخرى. وربما ردَّه بعضهم إلى الأصل، فنسب إلى مدينة الرسول أيضاً، مديني. وتفصيل القول فيها يستغرق سِفراً كبيراً.

وقالت عائشة رضي الله تعالى عنها : « كان رسول الله، صلّى الله تعالى عليه وسلّم، يُستَقَى له الماء العذب من بئر السُّقْيا » [26].

والماء الذي في القِرَب والشِّنان، ألذّ من الذي يكون في آنية الفَخّار والأحجار وغيرها، ولا سيما أسقية الأدَم [27]. ولهذا آلتمس النبي، صلّى الله تعالى عليه وسلم، ماء بات في شَنِّه دون غيره [28] من الأواني. وفي الماء ـــ إذا وُضِع في الشِّنان وقِرب الأدَم ـــ خاصية

---

(26) قال أبو بكر بن موسى : السُّقيا بئر بالمدينة، يقال : منها كان يُستقى لرسول الله ﷺ. وقال ياقوت : إن حديث أن رسول الله ﷺ كان يستعذب الماء من بيوت (؟) السقيا، حدّث به عبد العزيز بن الأخضر، وإن الامام أحمد بن محمد بن حنبل قال فيه : عبد العزيز بن محمد الدراوردي ضعيف الحديث، روي عن هشام ابن عروة عن أبيه عن عائشة رضي الله عنها، أن رسول الله ﷺ كان يستقي الماء العذب من بئر السُّقيا. وفي حديث آخر : كان يستعذب الماء العذب من بئر السقيا.

(27) الأُدُم، والأدَم : جمع الأدِيم، وهو الجِلد.

(28) في الأصل : غيرها.

لطيفة، لِما فيها مِن المَسَامِّ (29) المنفتحة التي يَرْشَح منها الماء. ولهذا كان الماء في الفَخَّار (30) الذي يرشَح، كفخّار بغداد، ألذّ منه وأبردَ في الذي لا يرشَح. فصلوات الله وسلامه على أكمل الخَلْق، وأشرفهم نفساً، وأفضلِهم هدياً في كل شيء. لقد دلّ أمته على أفضل الأمور وأنفعها لهم في القلوب والأبدان والدنيا والآخرة.

قالت عائشة رضي الله تعالى عنها : « كان أحَبَّ الشراب إلى رسول الله صلّى الله عليه وسلّم، الحلوُ البارد ».

وهذا يحتمل أن تريد به الماءَ العذب، كمياه العيون والآبار الحُلوة، فإنه كان يُستعذب له الماء. ويحتمل أن تريد به الماءَ الممزوج بالعسَل ونحوه. وقد يقال، وهو الأظهر : يعمُّها جميعاً.

---

(29) المَسامُّ، بفتح الميم الأولى وتشديد الثانية : منافذ العَرَق في البدن. وفي دواوين اللغة : سُميت مسام، لأن فيها خروقاً خفية، وهي السّموم. وسموم الفرس مارقّ عن صلابة العظم من جانبي أنفه إلى نواهقه، وهي مجاري دموعه. وَاحِدُها سَمٌّ. ويقول الناس اليوم « مَسامَات » بفتح الميم الأولى وتخفيف الثانية، ظناً منهم أن واحدها مسامة. فلزِم التنبيه على هذا الخطإِ الشائع لإِصلاحه.

(30) الفخَّار : الخزف، و ـــ : أوانٍ ونحوُها تصنع من الطين وتُحرق. الواحدة فخَّارة. وفي التنزيل العزيز : ﴿ من صلصال كالفخّار ﴾.

وقوله، عليه الصلاة والسلام : « إن كان عندك ماء بات في شَنٍّ وإلّا كَرَعْنَا » [31] فيه دليل على جواز الكَرْع وهو الشُّرب بالفَم من الحوض والمِقراة [32] ونحوهما [33]. وهذه، والله أعلم، واقعة حال دعت الحاجة فيها إلى الكَرْع بالفم، أو قاله مبيِّناً لجوازه، فإنّ من الناس من يكرهه، والأطباء تكاد تُحرِّمه، ويقولون إنه يضرُّ بالمِعدة.

---

(31) يُنظر التعليق (23)، والتعليق (24).

(32) المِقراة : الحوض العظيم، يجتمع فيه الماء. و ــ : ما اجتمع فيه الماء من حَوض وغيره، ومثله المِقْرىٰ. و ــ : الإناء العظيم يُشرب به الماء. و ــ : الموضع الذي يُقرى « يجمع » فيه الماء. و ــ : شِبه حَوض يُقرى فيه من البئر، ثم يُفرغ في المِقراة. جمعها المَقَارِي.

(33) في الأصل : ونحوها.

وقد رُوي عن ابن عمر [34] رضي الله تعالى عنه، أنه قال : « إن النبي صلى الله تعالى عليه وسلّم نهانا أن نشرب على بطوننا وهو الكرْع، ونهانا أن نغترف باليَد الواحدة، وقال : لَا يلَغْ أحدكم كما يلغ الكلْب [35]، ولا يشرَبْ بالليل من إناء حتى يختبرَه أن لا يكون

---

(34) هو عبد الله بن عمر بن الخطاب، أبو عبد الرحمن، رضي الله عنهما. وُلد بمكة في سنة عشر قبل الهجرة، ونشأ في الإسلام، وهاجر إلى المدينة مع أبيه، وشهد فتح مكّة. ولمّا استشهد ذو النورين عثمان بن عَفّان رضي الله عنه، عرض عليه نفر أن يبايعوه بالخلافة فأبى. وغزا أفريقية مرتين. وأفتى في الإسلام ستين سنة. وكُفّ بصره في آخر حياته، وتوفي بمكة وهو ابن أربع وثمانين سنة. له في الصحيحين 2630 حديثاً. وفي « الإصابة » : « قال أبو سلمة بن عبد الرحمن : مات ابن عمر وهو مثل عمر في الفضل، وكان عمر في زمان له فيه نظراء، وعاش ابن عمر في زمان ليس له فيه نظير » ــ مصادر ترجمته في « الأعلام » 4 / 241 ط 2.

(35) وَلَغَ الكلب وغيره من السِّباع في الإناء، ومنه، وبه : يَلَغُ ويالَغُ وَلْغاً، ووُلوغاً، وولَغاناً : شرِب ما فيه بأطراف لسانه، أو أدخل فيه لسانه فحرّكه.

مخمَّراً » (36).

وحديث البخاري أصحّ من هذا، وإن صحّ فلا تعارض بينهما، إذ لعلّ الشُّرب باليد لم يكن يمكن حينئذ، فقال : « وإلّا كَرعْنَا ».

والشُّرْب بالفَمِ إنما يضُرُّ إذا انكبَّ الشارب على وجهه وبطنه، كالذي يَشرَب من النهر والغدِير. فأما إذا شرب منتصباً بفمه من حَوض مرتفع ونحوه، فلا فرق بين أن يشرَب بيده أو بفمه.

★ ★ ★

ولنذكرْ ها هنا فائدة تتعلق ببيان أحوال بعض المياه التي عثرنا عليها في كُتب القوم، فنقول :

ماء الغَيث

هو لذيذ الاسم على السمع، والمسمَّى على الروح والبدن. تبتهج الأسماع بذكره، والقلوب بوروده. وماؤه ألطف المياه، وأفضلها،

---

(36) مخمَّر : مغطّى. وفي النهاية ولسان العرب وتاج العروس : رُوِيَ عن النبي ﷺ أنه قال : « خمِّروا آنيتكم ». وفي رواية : « خمِّروا الإناء، وأوْكوا السِّقاء ». ومنه الحديث : « أنه أُتِيَ بإناء من لَبَن فقال : « هلّا خمَّرتَه، ولو بعُودٍ تعرِضه عليه ؟ ».

وأنفعها، وأعظمها بَرَكَةً، ولا سيما إذا كان من سَحَاب راعِدٍ، واجتمع في مستنقعات الجبال.

وهو أرطب من سائر المياه، لأنه لم تطُل مدَّته على الأرض فيكتسب من يُبُوستها، ولم يخالطْه جَوهر يابس، ولذلك يتغيَّر ويتعفّن سريعاً للطافته وسرعة انفعاله.

وهل الغَيْث الربيعي ألطف من الشتْوي، أو بالعكس ؟ فيه قَولان :

قال من رجَّح الغيْث الشتْوي : حرارة الشمس تكون حينئذ أقلّ، فلا يجتذب من ماء البحر إلا ألطفُه، والجَوُّ صافٍ، وهو خالٍ من الأبخِرة الدخَانية والغُبَارِ المخالطِ للماء. وكان هذا يوجب لطفَه، وصفاءَه [37] وخلوَّه من مُخالط.

وقال من رجَّح الرَّبيعي : الحرارة توجب تحلُّلَ الأبخِرة الغليظة، وتوجب رِقّةَ الهواء [38] ولطافتَه، فَيَخِفُّ بذلك الماءُ وتِقَل أجزائه الأرضية، وتصادف وقت حياة النبات والأشجار وطِيب الهواء [38].

---

(37) في الأصل : وصفاه.

(38) في الأصل : هنا وفيما سيأتي : « الهوى »، وهو من سبق القلم بآية أنه كتبه بعد قليل تكراراً على وجه الصحة.

وذكَر الإمام الشافعي (39) عن أنس (40) بن مالك ــ رضي الله تعالى عنهم ــ قال : « كنّا مع رسول الله، صلّى الله تعالى عليه وسلّم، فأصابنا مَطَر، فحُسِرِ عنه، وقال : « إنه حديث عَهْد بربِّه ».

---

(39) أبو عبد الله محمد بن إدريس بن العباس بن عثمان بن شافع، وإليه نسبته، الهاشمي القُرَشي المطّلبي : الامام المجتهد العظيم. وُلد في سنة 150 هـ في غزَّة بفلسطين، وحمل منها إلى مكة وهو ابن سنتين، وزار بغداد مرتين، وقصد مصر في سنة 199 هـ، وتوفي فيها سنة 204 هـ. وقبره هناك مشهور إلى اليوم، وحوله محلّة عظيمة. أفتى وهو ابن عشرين سنة، وألّف كتباً مهمة، منها كتاب الأمّ 7 مجلدات، والرسالة في أصول الفقه وهو أول من ابتكر هذا العلم، والمسند. وكان فيما قرر المبردّ أشعر الناس، وآدبهم، وأعرفهم بالفقه والقراءات والحديث. وقد أُلّفت فيه قديماً وحديثاً كتب عديدة، وطرف من مصادر ترجمته في « الأعلام » 6 / 255 ، ط 2.

(40) أَنَس بن مالك النجاري الخزرجي الأنصاري، أبو ثمامة، أو أبو حمزة. ولد في مدينة الرسول سنة عشر قبل الهجرة، وأسلم صغيراً، وخدَم النبي عليه الصلاة والسلام، إلى أن التحق بالرفيق الأعلى، ثم رحل إلى دمشق، ثم إلى البصرة فتوفى فيها. رَوَى عنه الإمامان البخاري ومسلم 2.286 حديثاً. وتفصيل أخباره في معاجم الصحابة وكتب الحديث وشروحها.

ماء الثلْج والبَرَد والجمد [41]

ثَبَت في الصحيحين عن النبي، صلّى الله تعالى عليه وسلّم، أنه كان يدعو في الاستفتاح وغيره : « اللّهم اغسِلْني من خطاياي بماء الثلج والبَرَد ».

---

(41) البَرَد، بفتح أوله وثانيه : حَبُّ الغمام، الذي يقال له في بغداد : « حالوب »، وفي التنزيل العزيز : ﴿ وينزّل من السماء من جبال فيها من بَرَد... ﴾ شبَّه تكاثف السَّحاب، وتراكم بعضه فوق بعض بالجبال. والجَمَد في صِحاح العربية : الجَمْد، بالتسكين : ما جمد من الماء، وهو نقيض الذوْب، وهو مصدر سمِّي به. والجَمَد بالتحريك : جمع جامد، مثل : خادم وخَدَم. وقال ابن سيده : مَاءٌ جَمْد : جامد. والجَمَدُ : الثلج. وقال المؤلّف : الجمد : الجليد. قلت : الجليد هو ما يسقط من السماء على الأرض من النَّدَى فيجمد. وأرض مجلودة : أصابها الجليد. و ـــ : ما جمد من الماء وسقط على الأرض من الصقيع فجمد. وفي صحاح العربية : الجليد: الضريب، والسقيط، وهو ندى يسقط من السماء فيجمد على الأرض. وفي الحديث : حُسْن الخلق يذيب الخطايا كما تذيب الشمس الجليد. قالوا : هو الماء الجامد من البرد. وانظر كلام القاضي عياض في هذا، في « مشارق الأنوار » 1 / 411.

والثلْج له في نفسه كيفية حارة دخانية، فَماؤه كذلك، والحِكمة في طَلَب الغسْل من الخطايا بمائه، ما يحتاج إليه القلب من التَّبريد والتَّصْليب والتَّقْوِية.

ويُستفادُ من هذا الأصل طِبُّ الأبدان والقلوب، ومعالجةُ أدوائها بضدِّها.

وماء البَرَد، ألطف وألذُّ من ماء الثلْج. وأما ماء الجَمَد، وهو الجَلِيد، فبِحَسَب أصله. والثلْج يكتسب كيفية الجبال والأرض التي يسقط عليها في الجودة والرداءة. وينبغي تجنُّب شرب الماء المثلوج عقِيب الحمَّام والجِماع والرِّياضة والطعام الحارِّ، ولأصحاب السُّعال وَوَجع الصدر وضَعف الكَبِد، وأصحاب الأمزِجة الباردة.

ماء الآبار والقَنَا (42)

مياه الآبار قليلة اللطافة، وماء القنا (42) المدفونة تحت الأرض

---

(42) في الأصل : « .... والقناء » بالمدّ في الموضعين، وإنما هو مقصور. يقال قَنَاة وقَناً، ثم قُنِيّ، لجمع الجمع كما يقال : دَلَاة وَدِلَا، ثم دِلِيّ وَدُلِيّ لجمع الجمع. وإن شئت جمعت القناة جمع مؤنث سالماً. قال أبو منصور الأزهري في معجمه تهذيب اللغة : « القناة من الرِّماح ما كان أجْوف كالقصَبة، ولذلك قيل للكظائم التي تجري تحت الأرض : قَنوات، واحدتها قَنَاة، ويقال لمجاري مائها قَصَب، تشبيها بالقصَب الأجوف... ».

ثقيل، لأن أحدهما محتقَن، ولا يخلو عن تعفّن، والآخر محجوب عن الهواء، وينبغي أن لا يُشرب على الفَوْر حتى يصدر للهواء وتأتي عليه ليلة.

وأردؤه ما كانت مجاريه من رصاص، أو كانت بئره معطّلة، ولا سيما إذا كانت تربتها رديئة [43]. فهذا الماء وَبِيءٌ وَخِيم [44].

---

(43) في الأصل : « ردية ».

(44) في الأصل : وني، وهو تصحيف، وَبِيء، أي مَوْبُوء — الوَخِيم : الثقيل لا يستمرأ.

وقد عقد المؤلِّف رحمه الله، في كتابه المشهور : « بلوغ الأرب في أحوال العرب »(1 / 392 — 393، ط 3 ، بتحقيقي، فصلًا للمياه المشهورة عند العرب، أورد فيه طرفاً من كلامه على هذه المياه في هذه الرسالة، فذكر فيه : ماء الغيث والثلج والبرد والجمد والآبار والقنا. وزاد فيه ماء العيون، قال : وهذه المياه، غالب مياه العرب. وقد جمع بعض الأدباء المتقدمين أسماء مياههم في رسالة لطيفة، وذكر أصحابها جاهلية وإسلاماً، وما ورد فيها من الشعر، مما يطول ذكره. ثم قال بعد كلام على ماء القنا وماء بئر زمزم : « وأما مياه العيون فالغالب عليها الثقل، كأكثر مياه الآبار. وللأصمعي رسالة ذكر فيها ما اعتبرته العرب من الأسماء في البئر وأنواعها وآلاتها، وهي فريدة في بابها. وسنذكر إن شاء الله عند الكلام على علومهم، ماهم من اليد الطُّولَى في معرفة استنباط المياه وإجرائها، وأن قسما

ماء زَمْزَم [45]

سيِّد المياه، وأشرفها، وأجلّها قدراً، وأحبُّها إلى النفوس،

= منهم يقال لهم النصَّاتون : يضع أحدهم أذنه على الأرض، فيعلم مسافة بُعد الماء في تلك الأرض ». وقد عقد هذا الفصل في 3 / 343 تحت عنوان علم الريّافة، وهو فصل وجيز، أورده لمن لا يملك هذا الكتاب، قال رحمه الله.

« ومن علومهم (علم الريّافة)، وهو معرفة استنباط الماء من الأرض بواسطة بعض الأمارات الدالّة على وجوده، فيعرف بُعده وقُربه بشَمِّ التّراب، أو برائحة بعض النباتات فيه، أو بحركة حيوان مخصوص، وهو من فروع الفِراسة. وهي موجودة في بعض أعراب نَجْد. وقد أخبرني بعض الثِّقَات أنه شاهد بعض هؤلاء، قال : يضع أذنه على الأرض، فيخبر بما يتبيَّن له من وجود الماء وعدمه، وقربه وبعده. فإذا حفروا، وجدوا الأمر كما وصف، ويسمى من له هذه المعرفة بين العرب اليوم ب « النّصَّات ». ولا ينبغي لمن لا استعداد له لهذه القوة أن ينكرها، فإن كل أمة من الأمم، وكل قبيلة من القبائل، وكل فرد من الأفراد مختص بأشياء، وُهبت له، ومُنّ بها عليه من العلوم والصنائع والمعرفة والأخلاق والسيَر والمحاسن والقبائح. ونحن نرى أُلوفاً من الناس يتعاطون صنعة واحدة، ويتدارسون علماً واحداً، فلا يبرع منهم إلا الواحد بعد الواحد، وكلّ يُفاض عليه على حَسَب استعداده ».

(45) البئر المباركة المشهورة في المسجد الحرام بمكّة المكرّمة. قيل : سميت =

وأنفسها عند الناس. وهو هَزْمة جبريل [46]، وسُقْيا إسماعيل [47].

=

« زمزم » لكثرة مائها، يقال : ماء زمزم، وزُمازِم. وقيل : هو اسم لها وعَلَم مرتجل. وقيل غير هذا.

(46) جاء في الحديث في زَمْزَم : « إنها هَزْمَةُ جبريل عليه السلام ». الهزْمة : المنخفض من الأرض، و ـــ : الغَمزة بالعقِب في الأرض يقال لها : هزْمة. قال شُرَّاح الحديث : أي ضَرب برِجله فانخفض المكان فَنَبع الماء. وقيل : معناه أنه هزم الأرض، أي : كسر وجهها عن عينها، حتى فاضت بالماء الرَّواء. وبئر هزيمة إذا خسِفت وكسِر جبلها ففاض الماء الرَّواء. وهزم البئر : حفرَها. والهزيمة : الرّكيّة التي خسفت وقطع حجرها، ففاض ماؤها. والهزائم : البئار الكثيرة الماء، وذلك لتطامنها. وهزْمة جبريل، وهزْمة المَلَك، وركْضة جبريل : من أسماء زمزم، ولها أسماء أخرى ذكرها ياقوت ومؤرِّخو مكّة.

(47) في الخَبَر : أنّ إبراهيم عليه السلام،لمّا وضع إسماعيل بموضع الكعبة، وكرّ راجعاً، قالت له هاجَر : إلى من تَكِلُنا ؟ قال : إلى الله. قالت : حسبُنا الله فرجعت، وأقامت عند ولدها حتى نفد ماؤها، وانقطع درّها، فغمّها ذلك، وأدركتها الحنّة على ولدها، فتركَت إسماعيل في موضعه، وارتقت على « الصَّفَا » تنظر هل ترى عيناً أو شخصاً، فلم تر شيئاً، فدعت ربَّها، واستسقته، ثم نزلت حتى أتت « المَرْوَة » ففعلت مثل ذلك. ثم سمعت أصواتٍ

وثبت في الصحيح عن النبيء صلّى الله تعالى عليه وسلّم، أنه قال لأبي ذرّ [48] وقد أقام بين الكعبة وأستارها أربعين ما بين يوم وليلة، وليس له طعام غيره ـــ فقال النبي، صلّى الله تعالى عليه

=

السِّباع فخشيت على ولدها، فأسرعت تشتد نحو إسماعيل، فوجدته يفحص الماء من عين قد انفجرت من تحت خدِّه، وقيل بل من تحت عقِبه. قيل : فمِن ذلك العَدْو بين الصّفا والمَرْوَة ـــ أي في أداء مناسك الحج ـــ، استِناناً بهاجَر لمَّا عَدَت لطلب ابنها لخوف السِّباع. قال ياقوت : ومن الناس من ينكر ذلك، ويقول إن اسماعيل حفره بالمعاول والمعالجة كسائر المحفورات. وفيه يقول خُوَيْلد بن أسد بن عبد العُزَّى ـــ وفيه ما يدل على أن زمزم أقدم من إسماعيل عليه السلام ـــ :

أقول، وما قولي عليكم بسبّة   إليك ابنَ سلمى أنت حافر زمزم
حفيرة إبراهيم يوم ابن هاجَـر   وركْضة جبريل على عهد آدم

(48) أبو ذرّ : في اسمه واسم أبيه خلاف، والأعرف أنه جُندَب بن جُنادة، من بني غِفار، من كِنانة بن خُزَيمة، من كبار الصحابة رضي الله عنهم، ومن السابقين إلى الإسلام. رَوَى له الإمامان البخاري ومسلم 281 حديثاً. توفي بالرَّبَذَة من قرى المدينة المنوّرة، وكانت عامرة في صدر الإسلام، وخربت في سنة 319 هـ بالقَرَامِطة. ترجمته في الطبقات الكبرى 4 / 161، وحلية الأولياء 1 / 156، والإصابة 7 / 60 ، وصفوة الصفوة 1 / 238، وغيرها.   =

وسلّم : « إنها طَعَامُ طُعْمٍ » [49] وزاد غير مُسْلِم بإسناده : « وشِفَاءُ سُقْمٍ »

وفي سُنَن ابن ماجه [50]. من حديث جابر بن عبد الله [51] رضي الله تعالى عنه، عن النبي، صلّى الله تعالى عليه وسلّم، أنه قال : « ماء زمزمِ لِمَا شُرب له ». وقد ضعّفَ هذا الحديث طائفة بعبد الله

---

(49) طَعامُ طُعمٍ : يَطْعَمُ مَنْ أكله، أي يشبع. وروي عن ابن عباس، رضي الله عنهما أنه قال في زمزم : « إنها طعامُ طُعْم وشفاء سُقْم » أي يشبع الإنسان إذا شرب ماءها كما يشبع من الطّعام. والطُّعْم، بالضمّ : ما يؤكل، والطّعم بفتح الطاء : ما يشتهى.

(50) ماجَهْ، بسكون الهاء، لقَب والد الحافظ أبي عبد الله محمد بن يزيد الرَّبَعي، وذكر جماعة أنه اسم لأُمّه. وهو أحد الأَئمة في علم الحديث. ولد سنة 209 هـ. في قَزوين، ورحل إلى البصرة وبغداد والشام ومصر والحجاز والريّ في طلب الحديث، وتوفي في سنة 279 هـ بتِرْمِذ، وقال السَّمْعاني : توفي بقرية بوغ في سنة 275 هـ. صنَّف تفسير القرآن، وتاريخ قَزْوين. والسُّنَن : أحد كتب الحديث الستَّة المُعتمدة، طبع في القاهرة بتحقيق محمّد فؤاد عبد الباقي.

(51) جابر بن عبد الله بن عمرو الخزرجي الأنصاري السُّلَمي : صحابي ابن صحابي، أبلى في سبيل الإسلام بلاء حسناً. غزا تسع عشرة غزوة، وكانت له في أواخر أيامه حلقة في المسجد النبوي، يؤخذ عنه العلم، وكان من المكثرين في الرواية عن النبي ﷺ، وروى عنه جماعة من الصحابة، وروى له الإمامان البخاري ومُسلم 1540 حديثا. وترجمته في معاجم الصحابة، وتهذيب التهذيب، وغيرها.

ابن المؤمّل : (52) راوِيه عن محمد بن المُنكدر (53). وقد رُوِيَ عن عبد

---

(52) عبد الله بن المؤمّل بن وهب الله القُرشي المخزومي العابديّ المدني، ويقال : المكّي. روى عن أبيه وأبي الزبَيْر وعطاء وابن جُريْج وعدّة. قالوا : كان قاضياً بمكّة، وليس بذاك. ومات بمكّة سنة الخمسين بفَخّ، أو بعدها بسنة. وقد اختلف المحدِّثون فيه، فقال عبد الله بن الإمام أحمد بن محمد بن حنبل عن أبيه : « أحاديثه مناكير »، وذَكره ابن حِبَّان في الضعفاء، وقال أبو زرعة وأبو حاتم : « ليس بقويّ ». وقال ابن أبي مريم عن ابن مَعين : « ليس به بأس ». وقال ابن سعد : « كان ثقة قليل الحديث ». وقال أبو عبد الله : « هو سيء الحفظ، ما علمنا عليه من جرحة تسقط عدالته » (ينظر تهذيب التهذيب، 6 / 46).

(53) محمد بن المُنْكَدر بن عبد الله التيميّ : أحد الائمة الاعلام. روي عن أبيه وعمّه ربيعة، وأبي هريرة وعائشة وغيرهم، وروي عنه أبناه يوسف والمنكدر، وابن أخيه ابراهيم بن أبي بكر بن المنكدر، وابن أخيه عبد الرحمنٰ، وزيد بن أسلم، وعمرو بن دينار والزهري من أقرانه، وغيرهم. توفي سنة 131 هـ. بلغ ستا وسبعين سنة، فيكون مولده على هذا سنة 55 هـ، فتكون روايته عن عائشة وأبي هريرة وأبي أيوب الأنصاري مرسلة. عن أبي عُيينة قال : « كان من معادن الصدْق ويجتمع إليه الصالحون..، وكان غاية في الحفظ والاتقان والزهد حجة ». وذكره ابن حِبَّان في الثقات، قال : « كان من سادات القراء » (تهذيب التهذيب، 9 / 473 — 475).

الله بن المبارك [54] : « أنه لمّا حجَّ أتى زمزم، فقال : اللّهم إن ابن أبي الموالي [55]حدثنا عن محمد بن المُنْكَدر، عن جابر رضي الله تعالى عنه، عن نبيّك، صلى الله تعالى عليه وسلم، أنه قال : « ماء زمزم لِما شُرب له، فإني أشربه لظمإ يوم القيامة ». وابن أبي الموالي ثِقة، فالحديث إذن حَسن. وقد صحّحه بعضهم، وجعله بعضهم موضوعاً. وكِلا القولين فيه مجازفة [56].

---

(54) قال ابن الجَوْزي في « المُدْهِش » : « المسمّون بعبد الله بن المبارك ستة. أحدهم مَرْوَزِي، والثاني خُراساني، والثالث بُخاري، والرابع جَوهري، والباقيان بغدادِيان ». وأشهرهم الأول، إذا أطلق اسمه انصرف القصد إليه، وهو عبد الله بن المبارك بن واضح الحنظَلي بالولاء، المَرْوزي، أبو عبد الرحمنٰ الحافظ المجاهد. جمع الحديث والفقه والعربية وأيام الناس والشجاعة والسخاء. وهو أول من صنف كتاباً في الجِهاد، ولد سنة 118 هـ، وتوفي سنة 181 هـ في « هيت » على الفُرَات، منصرفاً من غزو الرُّوم. مصادر ترجمته في الأعلام 4 / 256، ولعلي الطنطاوي رسالة فيه مطبوعة بدمشق.

(55) لعلّهُ عبد الرحمنٰ بن أبي الموالي، من أتباع التابعين، ذكره الزَّبيدي في « تاج العروس » وقال : « روى عن الباقِر، وعنه القَعنَبِي ».

(56) المجازفة : ارسال الكلام على غير رَوية.

وقد جرّب كثير من الناس، من الاستشفاء بماء زَمزم، أموراً عجيبة.

وقد شوهد من يتغذّى به الأيامَ ذوات العدد قريباً من الشهر، ولا يجد جوعاً. ويطوف مع الناس كأحدهم. نسأل الله تعالى أن يُرْوِينا من زُلاله.

ماء النِّيل [57]

---

(57) نِيل مِصْر : من أطول أنهار الأرض، وأطيبها ماء. منابعه في جبال القُمْر، فوق خط الاستواء بست عشرة درجة. وهذه الجبال في جنوب « بحيرة فكتوريا » وشرقها، وتعرض البلاد هناك اليوم باسم « أُنياميوِيزي » (Unyamiuzi)، ومعناه : بلاد القمر. ومصبُّه في البحر المتوسط، وله مجموعتان من المنابع المجموعة : الأولى مياه البطائح الاستوائية، وتؤلِّف النيل الأبيض في جهته الشرقية. والمجموعة الثانية مياه هضبة الحبشة، وهي كثيرة العدد، وتؤلف النيل الأزرق في جهة الغرب، ويلتقي هذان النهران عند الخرطوم عاصمة الجمهورية السودانية، فيكوِّنان عمود النيل الذي يجري إلى الشمال حتى مصبِّه في البحر المتوسط. ولهذا النهر حظ عظيم من جهد الجغرافيين الأولين والآخرين، من عند اليونانيين الذين كان جغرافيوهم أسبق المتحدثين عن منابعه، إلى هذا اليوم، وأهم ما أَلّفه جغرافيو مصر المعاصرون كتاب « نهر النيل » للأستاذ محمد عوض محمد.

أحد أنهار الجَنَّة.

أصْله من وراء جبال القُمْر [58]، في أقصى بلاد الحَبَشَة، من أمطار تجتمع هنالك، وسُيُول يمُدّ بعضها بعضاً، فيسوقها الله تعالى إلى الأرض الجُرُزِ اَلتي لا نبات بها، فيخرج به زرعاً تأكل منه الأنام والأنعام.

ولمّا كانت الأرض التي يسوقه إليها، إبْليزاً صُلْبَة، [59] إن

---

(58) جبال القُمْر : أكثر الكتّاب يرون أن القدماء أرادوا بها الجبال البُركانية الشاهقة (كِينْيا، وكِلِيمانْجارُوا، والغون) في جنوب بُحَيرة فكتوريا وشرقها. و « القُمْر » قَبِيل من الأفارقة السُّود، لهم عمائر حول هذه الجبال، ولهم مجالات بين البطيحتين اللّتين تنصب إليهما منابع النِّيل.

(59) الإِبْلِيز : أغفله ابن منظور في « لسان العرب »، وذكره مجد الدين البكري في « القاموس المحيط »، قال : « طِين الإِبْليز : طِين مِصْر، أعجمية »، ولم يُؤصّل عُجْمتَها، وكذلك فعل شارحه الزّبيدي، غير أنه زاد قوله : « والعامّة تقوله بالسِّين ». وهو لفظ يوناني الأصل « Evlipis » عرّبه العرب، وخصّه بعضهم بما يُعقبه النِّيل من الغَرِين الصَّلْصالِي بعد انحسار فَيَضانه عن ضِفافه، وجاء في سياق عبارة المؤلف، رحمه الله ـــ ولا ريب في أنه نقل من كتاب قديم ـــ عامّاً كما هو الظاهر.

أمطرت مَطر العادة لم ترْوَ، ولم تتهيأ للنبات، وإن أمطرت فوق العادة ضرّت المساكن، وعطّلت المعاش والمصالح، فأمطر البلاد البعيدة، ثم ساق تلك الأمطار إلى هذه الأرض في نهر عظيم، وجعل سبحانه زيادته في أوقات معلومة، على قدر رِيِّ البلاد وكفايتها. فإذا أروى البلاد وعمّها، أذِن سبحانه بتناقصه وهبوطه، لِتَتِمَّ المصلحة بالتّمكّن من الزرع.

وقد اجتمع في هذا الماء الأمور العشرة، التي تقدم ذكرها، فكان من ألطف المياه وأخفها وأعذبها وأحلاها.

ماء دِجْلة [60]

وماء دِجلة قد جمع اللطف كلّه، يجري بلُجَيْن [61]، وينصبُّ بعَسْجَدٍ وعَيْن. [62]، من أحلى المياه وأطيبها، وألطفها وأعذبها [63].

---

(60) اسم دِجْلة، في العصور السحيقة القدَم، « أدِقْلات »، أو « أدِكْلات »، « ديكلات »، ومن معانيه : الجاري.

(61) اللُّجَيْن : الفِضَّة.

(62) العَسْجَد : الذّهَب. و ــ العَيْن : ما ضُرب نقداً من الدنانير.

(63) لقد استلذّ ماءَ « دِجلة » واستطابه كلّ من شرب منه، واستعلن ذلك في أشعار الشعراء، وكان أكثرهم افصاحاً عن ذلك وشهادة له بأنه « خير ماء » الشاعر الفيلسوف الشهير أبو العلاء أحمد بن =

= سليمان المعرّي، ومما أحفظه من ذلك له قولُهُ في القصيدة الثالثة والستين من ديوانه « سِقْط الزّنْد » :

كلِفنا بالعراق ونحن شَرْخٌ فلم نُلمِم به إلا كُهُولا
وَرَدنا ماء دِجلة خيرَ ماءٍ وزُرنا أشرف الشّجَرِ النخيلا!
وزُلنا بالغَليل وما اشتفَيْنا وغاية كل شيء أن يَزُولا.

وقوله في القصيدة الثانية والستّين يودّع بغداد :

أُوَدِّعكم، يا أهل بغداد، والحَشا
على زَفَراتٍ ما يَنِين من اللّذْعِ
وَدَاعَ ضَنٍّ لَمْ يَستقلّ، وإنما
تحامل – من بعد العِثار – على ظَلْعِ
إذا أطّ نِسْعٌ، قُلتُ واللّوْمُ كاربِي
أجِدَّكُمُ، لم تَفْهَموا طَرَبَ النِّسْعِ
فَبِئس البدِيلُ الشَّامُ مِنكُمْ وأهلُه
على أنهُم قَوْمِي وبيْنَهُم رَبْعِي
أَلَا زَوِّدُوني شَرْبةً، ولَو انَّني
قَدَرْت إذَنْ أفْنيت دِجْلَة بِالْجَرعِ !
وأنّى لَنا مِن ماءِ دِجْلة نَغْبَةٌ
على الخِمْس من بعد المَفاوِز والرِّبْعِ ؟

وقوله في القصيدة الثامنة والخمسين يذكر قُوَيْقاً نهرَ حَلَب، ودِجلة والصَّراة نَهْري بغداد : =

وبعد مروره على بغداد يزداد حلاوة، وتُرى له طَلاوة أي طلاوة. (64)

=

طَرِبْـنَ لِضَوْءِ البــارق المُتعالـــي
ببغداد وَهْنـاً، ما لَهُـنَّ ومالِـي ؟
تَمَـنَّت قُوَيقـاً، والصَّراةُ حِيالَهـــا،
تُرابٌ لهـا من أيْنُـقٍ وجِمـالِ !
وَلَوْ وَضَعَتْ فِي دِجْلة الْهامَ لَم تُفِقْ
مِن الجَرْعِ إلّا والقُلُـوب خَوالِ !

(64) الطَّلاوة مثلثة الطاء : الحُسْن والرَّوْنق. وما يذكره المؤلف، رحمه الله، من ازدياد ماء دِجلة حلاوة بعد مروره ببغداد، لا أعرفه، ولم أفطن له فيما تضلعت منه شِبعاً وَرِياً، على امتداد مساره إلى مصبِّه في « شطّ العرب ». ولعل منشأ ذلك ــ إذا صح ــ من اختلاط ماء « دِيالِي » الذي يصبّ فيه على أميال من بغداد في الجنوب، بماء دجلة.

ولو رأيتَ دِجْلة، وهي بين الكَرْخ [65] و الرُّصَافة [66]،

---

(65) الكَرْخ : يُطلق اليوم على جانب بغداد الغربي كلّه، وكان يسمّى به قديما محلّة من مَحالّها، استحدثها أبو جعفر المنصور بالله، ثاني الخلفاء العباسيين في أوائل النصف الثاني من المئة الثانية الهجرية، أي بُعيد بنائه مدينة السلام بغداد، وخصَّها بالسوقة والتجار وأصحاب الصناعات، واتسع الناس فيها في البناء والأسواق حتى صارت « السوق العظمى » كما نعتَها اليعقوبي. قال : « والكرْخ السوق العظمى مادّةٌ... طولًا — [يعني من باب الكوفة من أبواب مدينة السلام باتجاه الجنوب] — بمقدار فَرْسَخَيْن (ستة أميال)، وعرضاً إلى دجلة مقدار فَرسخ ». ووصف تنظيمها، فذكر أن « لكل تجارة فيها شوارع معلومة وحوانيتَ وعراصاً، وليس يختلط قوم بقوم، ولا تجارة بتجارة... ». وقال ابن الجوزي في كتاب « مناقب بغداد » : « وجمعت الكَرْخُ منازل عجيبة، بديعة البناء... وكان بسوق الحلاويين (فيها) خزانة كتب فيها اثنا عشر ألف مجلّد ... »، وذكر ياقوت المتوفى سنة 626 هـ / 1229 م أن الكَرْخ، بعد أن كان أولًا في وسط بغداد، والمحالّ حولها، صارت في زمنه محلّة مفردة في وسط الخراب وحولها محالّ، إلا أنها غير مختلطة بها ». والكرْخ الآن يشهد من العمران العظيم والامتداد والاتساع ما لم يشهده في عصره العباسي على ازدهاره الذي ذكرت.

(66) الرُّصَافة : تطلق اليوم على جانب بغداد الشرقي كله، وكانت في =

لَحسِبتها مرآة مجلوّة أو وَجْنة غانِية (67) فاقت في الحُسن واللطافة. وفي فصل الخريف يزداد لطفه، بل لا يمكن وصفه. كأنه من ماء الجِنان، وقد حفّ بالحُور (68) والوِلدان. لا عيب فيه سوى أنه يُنسي الغريب ذِكْر وطنه، ويسلّيه عن ولده وخاصة أهله وخِدْنه.

= العصر العباسي تطلق على محلّة عظيمة من مَحالّه. ابتدأ المنصور بالله العباسي ثاني الخلفاء العباسيين ببنائها لابنه المهدي، وعمل لها سوراً، وميداناً، وبستاناً، وأجرى لها الماء، وأقطع القواد هناك قطائع وأتمّ المهدي بناءها بعد وفاة أبيه وتولّيه الخلافة، وظلّ مقيما فيها. وكان موقعها على ضفة دِجلة قُبالة مدينة السلام، وقد عادلتها وساوَتْها في المساحة بعد ذلك. ويطول الكلام على مااستُحدث فيها من العمران، عمران المساجد والمدارس والمستشفيات والقصور والجسور. على أن ما تشهده الرُّصافة ــ أعنى جانب بغداد الشرقي ــ من التجديد والإنشاء ما ليس له شبيه في عصرها العباسي الزاهر، على جلاله، كما أسلَفْت القولَ في الكلام على الكرْخ.

(67) الغانية : المرأة الغنية بحُسنها وجمالها عن الزينة.

(68) الحُور : جمع حَوْراء، وهي المرأة البيِّنة الحَوَر، وهو شِدّة سواد المُقلة في شدّة بياضها في شدّة بياض الجسد، ولا تكون الأدماء حَوراء. والحَوْراء أيضا : البيضاء لا يُقصد بذلك حَوَرُ عينها. والأعراب تسمى نساء الأمصار « حواريات » لبياضهن وتباعدهن عن قَشَف الأعراب بنظافتهنّ. والعامة تقول « حُورِيات، وحُورِية ». ومن هذا قيل لصاحب الحُوّارى « مُحوِّر ».

ولولا عدوانه على أهل بغداد [69]، وطغيانه فوق ما يجري في

---

(69) أنهار الأرض جمعاء تفيض في مواسم بعينها وتطغى، وما احتيط لتصريف مياهه الطاغية إلى الخزانات، وأقيمت لها السدود المحكمة، أفادَ وأجزل النفع، ومالم يُحتط له بمثل ذلك أضرَّ فيضانُه بالعمران وخرَّب ودمَّر. ومردُّ ما يُعزى إلى « دِجْلة » من « العدوان » لا إلى طبيعته، ولكن إلى خراب الريّ في العراق إبّان عصور التخلف والاضطراب السياسي. وقد أحصى المؤلف في كتابه « أخبار بغداد »، ما بين سنة 1250 هـ وسنة 1320 هـ، جملة من فيضانات دجلة وغرق بغداد، وشاهدنا بعد هذه السنة نحو تسعة فيضانات لهذا النهر، أغرق بعضها الجانب الشرقي من المدينة، وكان آخرها فيضان سنة 1373 هـ = 1954 م الذي كاد ينزل ببغداد أعظم كارثة في تاريخها الحديث، كما وصفتُه بقصيدة في ديواني : « مَلاحِم وأزهار »، لولا أن منَّ الله فابتعث حمِية الجيش ورجال الأمن والشبان والشابَّات من طلاب المدارس لإِحْكام السَّدِّ النَّاظِمي التُّرْكي المضروب على الجانب الشرقي، والمرابَطة عنده ليلَ نهار، إلى أن انحسر مدّه بعد مدة طويلة، وزال بعد السنة المذكورة خطر « عُدوان دِجلة » عن بغداد، بفضل ما أنجزته الدولة من خَزّانات « الثَّرْثار » و « دُوكان » و « دربندخان ». وتفصيل ذلك في كتاب « فيضانات بغداد في التاريخ » للمهندس البحاثة أحمد سُوسة رحمه الله.

الخيَال والذهن الوَقّاد ــ فكَم من بُستان (70) خرَّبها، وكم من أرض هدمها وجذبها. وفي كل سنة يلاحظ على بغداد من الغرَق، ويُخاف عليها أن يجري عليها مثل ما سبق ــ لَقلتُ إنه أعظم المياه بركة وأغزرها، وأجلها نفعاً وأكثرها، حيث إن مجراه من مخرجه إلى مصبّه في العمارات، لا يذهب منه شيء في الأودية والفَلَوات.

وأول من حَفَر نهر دِجلة نبيُّ الله تعالى دانْيال (71)، عليه صلوات الله الملك المُتَعال.

---

(70) البُستان : مذكّر في كلام العرب، وجرى على لسان البَغْداديّين تأنيثه ذهاباً إلى معنى الحديقة. وقد عَدَل المؤلف، رحمه اللهُ، في كتابه « أخبار بغداد » إلى تذكيره.

(71) دانْيال هذا، فَتًى اسرائيلي من أهل المِئة السادسة قبل الميلاد، وقع في أسْر بُخْتَنصَّر الذي غزا « أورْشَليم » فطَهَّرها من رِجس الإسرائيليين الذين بغوا على فِلَسطين وأقاموا في بعض أجزائها دُويلة لهم قصيرة العمر، ونُقل دانيال هذا ــ بعد الاستيلاء عليها ــ فيمن نقل إلى بابِل. وقد وضع الحاخامُون سِفراً سمَّوه « سِفْر دانيال » فيما وضعوا من كتب « العهد القديم »، ورووا فيه نَجاتَه ونجاة رفقائه مما زعموه من أتُّون النار، ويُولْوِل اليوم خلفاءُ وَضَعَةِ العهد القديم والتَّلْمود بمثل هذا الزعم عن أتُّونات « هِتْلَر، القائد الجرماني » التي يقول الصهاينة إنه أحرق فيها اليهود ممن خانوا أَلمانية وكانوا من أسباب هزيمتها في الحرب العالمية الأولى (1914 ــ 1918)، ولكن لم يزعموا نجاة أحد منهم لأمرٍ مّا يُخفونه.

فقد رُوي عن ابن عباس [72]، رضي الله تعالى عنهما، أنه قال : [73] « أوحى الله تعالى إلى دانيال أن احفُرْ لعبادي نهرَيْن،

---

(72) عبد الله بن عباس بن عبد المطّلب الهاشمي القُرشي، أبو العباس: الصحابي الجليل ترجمان القرآن كما نعته ابن مسعود. وُلد بمكة في سنة ثلاث قبل الهجرة، ونشأ في نأناة عصر النُبُوَّة، فلازم رسول الله ﷺ، ورَوَى عنه الأحاديث الصحيحة، وله منها في الصحيحين 1.660 حديثاً، وكفّ بصره في آخر عمره، فسكن الطّائِف وتوفي بها سنة 68 هـ، وفيها اليوم مسجد عظيم ينسب إليه. وينسب إلى ابن عباس تفسير جمعه مجد الدين مؤلف « القاموس المحيط » من روايات محمد بن السائب الكلْبي، وحالةُ هذا الكلْبي وضعفه وقلّة ثقة العلماء بمروياته، ولا سيما عن ابن عباس، غاية في الاشتهار.

(73) هذا الخبر من الإسرائيليات السخيفة التي أذاعها مُسلمة اليهود، ويجلّ حَبر الأمة ذو العقل القرآني الحكيم أن يهذيَ بمثل هذا الهَذَيان. ومن عجب عجاب أن يخص الله تعالى دانيال اليهودي هذا بالوحي أنْ يحفر هذين النهرين العظيمين : دِجلة والفُرات، ويجعل مفيضهما البحر، دون أن يخص غيره بالوحي أن يحفر لعباده أنهار الأرض الأخرى. فياليت شعري من أجرى هذه الأنهار ؟ هل أجراها أحد غير الله، ومن هو ؟ وهذا الخبر السخيف رواه ياقوت في معجم البلدان (دِجلة)، ولفظه فيه : « وروي عن ابن عباس رضي الله عنهما أنه قال : أوْحَى الله تعالى إلى دانيال، عليه السلام =

واجعل مَفِيضهما البحر (74). وقد أمرتُ الأرض أن تطيعك. فأخذَ خشبةً، فَجرّها في الأرض، والماء يتبعه، وكلما مرّ بأرض يتيمٍ أو أرملة أو شيخ، ناشده الله تعالى، فيَحِيد عنهم.

= — وهو دانيال الأكبر — أن احفرْ لعبادي نهرين، واجعلْ مفيضهما البحر، فقد أمرتُ الأرض أن تطيعك. فأخَذَ خشبةً، وجعَلَ يُجرُّها في الأرض، والماء يَتْبعه. وكلّما مرّ بأرض يتيم، أو أرملة، أو شيخ كبير، ناشدوه الله، فيحيد عنهم، فعواقيل دجلة والفرات من ذلك ». وياقوت كان ذكيا ومتنكرا للأساطير، ومن عجب أن لا يعقِّب على هذا السُّخف بشيء، ويقيني أيضا أن أستاذنا رحمه الله — وقد دوّن في رسالته هذا الخبر في شبابه — لو أنه عاود النظر فيها من بعد لأسقطه، أو عقّب عليه بنكيره، بآية ما أعلم من ثقوب عقله النقاد وبصيرته النيّرة وثورته على الإسرائيليات والخرافات والبدَع في مجالسه ودروسه، وفيما ألّف من كتبٍ في الإصلاح الاسلامي. ولن تجد أشدَّ منه وطأة عليها فيما كتبه في هذا خاصة في كتابه الشهير « غاية الأماني في الردّ على النّبْهانيّ » 1 / 62، ط 1، ويضيق المقام عن ايراده.

(74) المَفِيض : المكان الذي يفيض فيه الماء من مُنخَفَضٍ أو بُحَيرة أو بَحر.

وَدِجلة أحد هذين النهرين، والله تعالى أعلم. ومخرجه [75] من أصل جبل بقرب «آمِد » [76]، عند « حِصْن ذي القرنين » [77].

---

(75) مخرج دِجلة من أرْمِينِيَة، حيث الطّول 64 درجة و 40 دقيقة، والعرض 39 درجة، من كهف مُظلم على بعد قليل من غرب مدينة حاني الأرمينية، ثم تختلط به أنهار كثيرة من بعد منبعه إلى ملتقاه بالفُرات في « القرنة » في جنوبي العراق حيث يؤلّفان « شطّ العرب » الذي كان يعرف ب « دِجلة العَوْراء »، وينتهي إلى « الخليج العربي ».

(76) آمِد، بكسر الميم، ويقال لها آمِد السَّوداء : من قواعد « دِيار بَكْر »، اشتهرت باسم « دِيار بَكر »، وبه تعرف اليوم. وهي في الضفّة اليمنى من دِجلة، ودجلة محيطة بها من جوانبها، إلا من جهة واحدة، على شكل الهلال فيما وَصَف القَزْويني، ويُطلّ عليها جبل شاهق، كثيرة الأشجار والبساتين. وفتحها أبو عُبيدة بن الجرّاح، رضي الله عنه. وكانت من ثغور المسلمين. قال المَقْدسي في المئة الرابعة (10 م) : « لا أعرف للمسلمين اليوم بلداً أحصن ولا ثغراً أجلّ منها في تخوم المسلمين بوجه الرُّوم ». وقال : « وفي وسطِ

وكلما امتدَّ انضمَّ إليه مياه جبال « دِيار بَكر ». وبآمد يُخاض فيه

=

البلد الجامعُ ». ودخل أبو الثناء الألوسي، جدُّ المؤلف، « ديار بَكر » في سنة 1267 هـ، وذكر أنها « تشتمل على جوامع نفيسة ومدارس، لكنها لخلوِّها من التدريس غير أنيسة ». وقد انتسب إلى هذه المدينة نَفَر من العلماء قديما، أشهرهم الحسن بن بشر الآمدي المتوفى سنة 370 هـ مؤلف « الموازنة بين البُحتري وأبي تمّام »، و « المؤتلف والمختلف » في أسماء الشعراء وكُناهم وألقابهم وأنسابهم، و « معاني شِعر البحتري » وغيرها.

(77) أغفله ياقُوتُ في « المُشْتَرَك وضعاً »، ولم يذكره في رسم الحاء من معجم البلدان، ولكنه ذكره فيه في كلامه على دجلة استطراداً قال:
« ... وقيل إن أصل مخرجه من جبل بقرب « آمِد » عند حصن يعرف ب « حصن ذي القرنين »، من تحته تخرج عين « دجلة »، وهي هناك ساقية. ورأيته بآمِد، وهو يخاض بالدّوابِ ».

بالدّوابّ. ثم يمتدّ إلى « مَيّافارِقين » [78]، ثم إلى « حِصن كِيفا » [79] ثم إلى « جزيرة ابن عمر » [80] ثم إلى المَوْصل [81].

---

(78) مَيّافارِقين : مدينة قديمة بين حدود « الجزيرة » وحدود « أرمينية ». وهي من « دجلة » على مرحلتين، (نحو أربعين ميلًا)، في ذيل جبل في شمالها، ولها نهر صغير ينبع قريبا منها جدّا، يخترق دورها. صارت في الإسلام قاعدة دياربكر. وكانت تصنع بها الستور والمناديل ونحوها. والنّسب إليها « فارِقي » اختزالًا، وقد اشتهر به جماعة.

(79) حِصن كِيفا : قال ياقوت : « ويقال كِيبا وأظنها أرمَنية، بلدة وقلعة عظيمة مشرفة على « دجلة » بين « آمد » و « جزيرة ابن عمر »، من « ديار بكر ». وهي كانت ذات جانبين، وعلى دجلتها قنطرة لم أر في البلاد التي رأيتها أعظم منها، وهي طاق واحد يكتنفه طاقان صغيران ». ووصف المستوفي حِصن كِيفا في المئة الثامنة (14 م) بأنها « مدينة عظيمة، ولكن الخراب ظاهر فيها وإن كانت آهلة بالسكان »، ويُنسب إليها « حَصْكَفي ».

(80) جزيرة ابن عمر : تُعرف اليوم باسم « الجزيرة »، مدينة في شمال « المَوْصِل »، بينهما تسعون ميلا. وصفها أبو الثناء الألوسي، جدّ المؤلف، وقد دخلها في سنة 1268 هـ بأنها « هلالية الشكل، لكن لا نور فيها ولا فضل، وذلك لوخامة هوائها، ودمامة أرجائها. ولولا أن تكون دِجْلة عليها شفيقة، لجعلتها بمجازها جزيرة علي

وينصبّ فيه « الزّابان » [82] ومنهما يعظم، ثم إلى بغداد [83] ثم إلى

=

الحقيقة ». وذكر الاختلاف في بانيها، ورجَّح ما ذهب إليه ياقوت من أن أول من عمَّرها الحسن بن عمر بن الخطاب التغلَبي، وكان له إمْرة بها سنة مئتين وخمسين. وجزيرة ابن عمر اليوم قضاء في سَنْجق « ماردين » في ولاية « ديار بكر » في الجمهورية التركية. وقد نسب إليها جماعة، أشهرهم أبناء الأثِيرِ الجَزَرِيون الثلاثة.

(81) المَوْصل : ثالثة حواضر العراق اليوم، مدينة قديمة ذات تاريخ كبير، في شمال شرقي « الجزيرة » على نشَز من الأرض يُطلّ على دِجلة في ضفته الغربية، وتتصل بها أرباضٌ واسعة وقرى كثيرة في أرَضِين طيبة خصبة، وفي قُبالتها في ضفة النهر الشرقية مدينة « نِينَوَى » البائدة، وقد استجدَّ فيها العمران حديثا وامتد مسافات طويلة، ورُبط الجانبان بجسر حديد عظيم. والموصل من مدن العلم والأدب في الإسلام، وقد أنشئت فيها حديثا جامعة جليلة. واشتهرت قديما بالمنسوجات خاصة، وعُرفت هذه المنسوجات في اوربة باسم « Mousselines ».

(82) الزَّابان، مثنّى « الزَّاب »، وربما قيل لكل واحد « زابي » والتثنية « الزابيان » : نهران مشهوران من روافد دِجْلة، أحدهما يقال له « الزّاب الكبير » ينبع من مرتفعات بين « بحيرة أُرمِيةَ » في ايران وَ بحيرة « وان » في الجمهورية التركية، فيخترقها بالقرب من

=

=
« العِمادية » شمالا، ثم ينحرف نحو الجهة الجنوبية الشرقية، وما يَبْرح يمتد وينحرف حتى يصبّ في دِجلة، في جنوب المَوْصل على 49 كيلا (كلم)، ويبلغ طوله من منبعه إلى مصبه نحو 400 كيل (كلم). وكان هذا النهر يوصف بالمجنون، ولشدة جَريه. وقد أضاف « كي. لسترنج » هذا الوصف خطأ إلى « الزاب الصغير ».

والآخر « الزاب الصغير »، وهو ينبع في الجهة الشمالية الشرقية لسلسلة « جبال قنديل » في غربي إيران، ويتجه نحو الجنوب الشرقي حتى إذا اقترب من الحدود العراقية انحرف إلى الجهة الجنوبية الغربية، ثم إلى الاتجاه الشمالي الغربي حتى يصل إلى مضيق « دَرْبَنْد »، ثم ينحرف إلى الجنوب، حتى يصل إلى مضيق « طوربة » ثم مضيق « دُوكان » الذي أُنشىء عنده حديثا « سدّ دوكان » ثم ينحرف نحو الغرب فيمر على « طقطق » ف « قنطرة الذهب ». (آلْتُون كُوبْري) ، وعلى بعد ثمانية كيلات (كيلومترات) من جنوب غربي التون كوبري أقيم حديثا « سدّ دبس » على الزاب الصغير هذا لحجز المياه أمامه وتحويلها إلى جدول ريّ كَرْكوك، ثم يسير غرباً حتى يصبّ في دجلة على مسافة 35 كيلا (كلم) من جنوبي « الشرقاط ». وطول هذا النهر من منبعه إلى مصبه زهاء 400 كيل (كلم). وبين الزاب الكبير والزاب الصغير في الأرض العراقية نحو مئة ميل كلها بلاد ومراع ومزارع خصبة واسعة على ما وصف ابن حَوْقَل، وأيّده لي العِيان مراراً. وفي العراق — بين

=

= بغداد وواسِط ــ زابان آخران أيضا كانا يُسميان : الزاب الأعلى والزاب الأسفل، ولا يعرفان اليوم.

(83) بغداد : دار الخلافة الاسلامية العظمى من سنة 147 هـ إلى سنة 656 هـ، وعاصمة الجمهورية العراقية الحديثة، ابتدأ بناءها أبو جعفر المنصور بالله ثاني الخلفاء العباسيين، في وسط العراق، وهو قلب بلدان الخلافة الاسلامية العظمى، في موقع سَوْقيّ وتجاري وأرض خصبة نزِهة وأفق ضَحْيان ضاحِك، يخترقه نهر دِجلة، ويقرب من الفُرات وتتشابك فيه الجداول، وتتشقق المياه العذبة في كلا الجانبين. فما لبثت أن أصبحت مثابة أرباب العقول والعلوم، وأصحاب الصناعات والتجارات من كل صُقع، فاتَّسع عمرانها واستبحر، وامتدّت قصورها ودورها وعمائرها مسافات بعيدة، وقامت فيها المساجد والمدارس والبيمارستانات (المستشفيات) والخانات والأسواق والحمَّامات. واستحدثت فيها الميادين والمتنزَّهات، وغرست البساتين والأشجار والأزهار والرياحين، وتكاملت فيها جميع مرافق الحضارة الراقية من عمائر وعلوم وآداب وفنون وفلسفات وصناعات وتجارات مزدهرة. وبلغت في كل أولئك مبلغاً يفوق الوصف، حتى عُدَّت بها بغداد سيدة البلاد، بل عدَّت هي الدنيا، وما سواها بادية. وما قاله الحكماء والعظماء فيها وفي أهلها من التقريظ والأمداح، المستفيضة يثير الدهشة، وأكتفي ، منها بما حدث به يونس بن عبد الأعلى قال : « قال لي محمد بن إدريس (يعني الإمام الشافعي) : دخلتَ بغداد ؟ قلت : لا، قال : =

البَصْرة [84] ثم ينصبّ في « بحر فارس » [85]. وهو مبارك، كثيراً ما ينجو غريقُه [86].

= يايونس، ما رأيتَ الدنيا، ولا رأيتَ الناس ! » وقد أسلفتُ لك في التعليقين (65) و (66) لمحة خاطفة عن جانبي هذه المدينة العربية الإسلامية العظمى في ماضٍ وحاضر، مما يحتمله المقام، وللمستزيد أن يرجع إلى تواريخها الخاصة. وتاريخ بغداد هو تاريخ الحضارة العربية الإسلامية في كل جوانبه.

(84) البَصْرة : هي كما وصفتُها في كتابي « معجم الأقاليم » ثغر العراق، وفرضته، وبندقية البلاد العربية، ومرفأ سفن الهند والصين واليابان وأفريقية وأوربة وأمريكة. إسلامية عُمَرية. وهي أول مدينة استحدثها المسلمون في العراق لأول الفتح في خلافة عمر بن الخطاب رضي الله عنه، في سنة 14 هـ واتخذها القائد عتبة بن غزوان المازني رضي الله عنه داراً للإمارة ومعسكراً للجيش الإسلامي، بناها على طف البادية غربي الفيض (= شطّ العرب) على اثني عشر مِيلًا منه في خط مستقيم، عند منتهى نهر يحمل الماء من الفيض إلى الغرب أي عند موقع بلدة الزبير الحالية، وعلى زاوية هذا النهر كانت تقوم « الأُبُلّة » إحدى متنزّهات الدنيا الأربعة عند القدماء. لازمها السّعْد، وعُني بها الأمويون عناية فائقة، فازدهرت، حتى سُميت « خزانة العرب » و « قبّة الاسلام »، إذ صارت مَباءة العِلم =

=

ومقصد الفقهاء والزهّاد وعلماء العربية والفلاسفة. ثم توالت عليها الفِتَن والمِحن، وأعظمها تأثيراً فيها وتغييراً لحياتها كانت فتنة صاحب الزِّنْج الفارسي الورزنيني، فأدركها الخراب، وتوالى عليها إلى أن تمَّ في عهد المُغُول.

أما « البصرة الحديثة » التي تقوم اليوم على « شطّ العرب »، فأصلها « المُوَفّقية » التي ابتناها الموفّق بالله أخو الخليفة المعتمد على الله العبّاسي، على نهر الأُبُلّة، وجعلها مركزاً لجيشه في قتال الورزنيني المذكور.

(85) هذه التسمية الخاطئة للخليج العربي من أغلاط الكَتَبَة اليونان، انتقلت إلى بعض قدامى الجغرافيين من المسلمين. نقل صديقي د. جَواد عَلِي في « تاريخ العرب قبل الاسلام (3 / 306 ط. بغداد) عن المؤرخ Paulys - Wissowa, أن الذين سمّوا الخليج الذي يفصل جزيرة العرب عن أمّة القارة من الشرق، باسم الخليج الفارسي (Sinus Persicus) — هم اليونان. أما الآشوريون والبابليون، فقد عرف عندهم ب « البحر » وب « البحر الأسفل » في مقابل « البحر الأعلى » وهو « البحر المتوسط » قال : « ولم يَرد اسمه في الكتابات الفارسية القديمة، فلا نعرف ماذا كانوا يسمونه ». وانظر أيضاً مثل هذا في 3 / 308 من هذا الكتاب. وقد قلت إنه انتقل إلى بعض قدامى الجغرافيين من المسلمين، لأن الكثيرين على خلاف ذلك، فهو عند الخُوارزمي ص 100 بَحر البصرة، وعند ابن رسته =

ماء الفُرات

هو من أعذب المياه، ومن أجلّ نِعَم الله.

=

ص 95 بحر الهند، و ص 97 بحر البصرة، و 87 بحر فارس، و 84 الخليج الفارسي ـــ اضطراب غريب ! ـــ وعند المقدِسي ص 117 و 419 بحر الصين، و ص 18 و 484 بحر فارس، و ص 18 بحر « فارس وكِرمان و تيز مكران »، ودَرَج الترك على تسميته « بَصْرَهْ كورفزي » أي بحيرة البصرة. وواقع الحال، وإليه يحتكم، أن سكان كلا جانبيه من قديم الزمان إلى اليوم هم عرب أقحاح، ثم إن طوله في جهته الغربية أكثر امتداداً، ثم إنه مَوْصول ب « بحر العرب » من أجزاء المحيط الهِنديّ، فلا جَرَم أن تسميته ب « الخليج العربي » هي الصحيحة.

(86) هو مبارك لا ريبَ فيه. غير أن مرد الأمر المذكور إلى أن الساكنين على ضفافه قد مارسوا السِّباحة فيه وأحسنوها، فلم يغرق فيه منهم إلا من أدركه أجله وهو يسبَح، بسبب من الأسباب، فابتلعه.

وهو أخفّ من ماء دِجْلة، كما نقل بعض الأجِلّة. ومخرجه (87)

(87) للفُرات مَنبعان، أحدهما يخرج في بلاد طَرُون (دَرُون Daron)، وهو الفُرات الشّرقي، ويصبّ في يمينه رافِدان ينحدران من الشمال من بلاد « قالِيقَلا »، وقد سمّاه سُهْراب في « عجائب الأقاليم السبعة » « نهر أرْسَناس »، وعُرف عند التُّرك بعد فَتح السلطان مُراد الرابع بغداد وطردِه الفرسَ منها باسم « مُرَادْصُو » (ماء مُراد) . والآخر يخرج من « جَبَل أقْرَدْخَسَ » في بلاد « قالِيقلا » شمال أرَزنْ الرّوم (أرضَروم)، وهو الفُرات الغربيّ. وهذا نفسه هو نهر الفُرات عند سُهْراب. ويُعرف اليوم عند التُّرك باسم « قَرَهْ صُو » (الماء الأسود).

من أرْمينية (88)، ثم إلى « قالِيقَلا » (89) قرب « أخْلاط » (90)، ثم إلى

---

(88) أرْمِينيَةٍ : إقليم عظيم في غربيّ آسية، يُحدّ غرباً بآسية الصغرى « الأناطُول »، وشرقاً بهضبة أذْرَبيجان والشاطىء الجنوبي من بحر الْخَزَر، ومن الشمال والشمال الغربي البلاد الواقعة على « بحر بُنْطُس » (البحر الأسود) وبلا القوْقاز التي يفصلها عن أرْمينية نهر الكُرِّ ونهر رِيُونَة، ومن الجنوب السهل الشمالي الغربي من بلاد ما بين النهرين. وفي هذا الإقليم جبال وبُحَيرات وأنهار ومدن كثيرة، وهو غاية في الخِصْب وفي شدّة البرد وكثرة الثلوج والأمطار.

(89) الأصل « فالبعاد »، وقد كتبه المؤلّف صحيحاً في كتابه « أخبار بغداد ». وقالِيقَلا مدينة من كُورَة دِيار بَكْر، النسبة إليها قالِي. واشتهر بها أبو علي إسماعيل بن القاسم صاحب « الأمالي » و « النوادر ». وهي من نواحي خِلاط. فتحها المسلمون في خلافة عمر رضي الله عنه، وتداولها المسلمون والروم مراراً ثم خَرِبَت، وأطلالها اليوم في شرق « أرْزَنِ الرُّوم ».

(90) أخْلاط (وخِلاط أيضا) : مدينة على الطرف الغربي من « بُحَيرة وَانْ »، يخترقها نهر، ويُطلّ عليها جبل عظيم يسمى « كُوهْ سِيبان »، وتحفّ بها البساتين، والبرد فيها قارس.

« **مَلَطْيَةَ** »[91]. **ثم إلى « سُمَيْساط »**[92]، **ثم إلى « الرَّقَّة »**[93] **ثم**

---

(91) مَلَطْيَة : بلدة قديمة في الأناطُول. جدَّد عمارتها أبو جعفر المنصور العبّاسي، وأسكنها الناس، واستولى عليها الدُّمُسْتُق في سنة 322 هـ، فهدم سُورَها وقصورها. وفتحها أبو الفداء في المحرم سنة 715 هـ. ويُنسب إلى مَلَطْيَة جماعة من رواة الحديث. وقد ذكرها المتنبِّي في شعره وقال : « مَلَطْيَةُ أُمٌّ للبنين ثَكُول ».

(92) في الأصل « شمشاط »، وكتبها المؤلّف رحمه الله على الصحّة في كتابه « أخبار بغداد ». والأولى هي « Samosta » عند الرُّوم، والثانية « Arsomosata »، فعرّب العرب الأولى « سُمَيْساط » والثانية « شِمْشاط »، وكلتاهما على الفُرات. وسُمَيْسَاط على واحد وخمسين ميلًا من « مَلَطْيَة »، فهي المقصودة في هذا المَوْضِع، وهي على غربيّ الفُرات، وعندها ينحرف النهر إلى الغرب، وتحتفّ بها جبال، وقد ذكرها المتنبّي في شِعره فقال :

ودون «سُميساط» المَطَامِيرُ والْمَلَا
وأودية مجهولة وهَواجِل

وقد نُسب إليها جماعة من أهل العِلْم، وهي الآن قرية. أما « شِمْشاط » فهي من الثغور الجَزَرِية بين « بَالُوية » (بَالُو الحديثة)، و« حصن زياد » (خربوط الحديثة)، وهي على الفرات الغربي (ينظر التعليق 87)، وبالوية شرقيّها، وخَربوط « خرتبرت » غربيها. وقد نُسب إليها قوم من أهل العِلم.

(93) هذه « الرَّقّة البيضاء »، واسطة « ديار مُضَر »، مدينة قديمة =

إلى « عانة » (94) ثم إلى « هِيت » (95) يسقي المزَارِع والبساتينَ

ذكرها بطلميوس. لها رَبَضٌ يسمى « الرافِقة ». اتخذها هارون الرشيد مُصطافا له، وكانت ذات حمّامات طيبة، وأسواق وبساتين، وقُرى وخيرات، ومعدنُ الصَّابون الرَّقيّ الجيّد والزيتون. وإلي اليوم ينسب إليها في العراق هذا البطّيخ الأخضر القِشرة. أدركها المَلِك المؤيّد أبو الفِداء في المئة الثامنة (14 م). وهي خراب، لم يبق بها أنِيس. وقد نقل إلى متحف اللُّوفَرْ بباريس كثير من الأواني الزجاجية والزَّهْريِات المُزَجَّجَة التي عثر عليها المنقِّبون الفرنسيون في خرائِبها.

وهنالك « الرَّقّة السوداء »، قرية كبيرة ذات بساتين كثيرة، تشرب من « نهر البليخ » من روافد الفُرات. وقد ذهب وهمُ كِي لسترِنْج إلى أنها هي « الرّقّة البيضاء » التي اتخذها الرّشِيد مصطافاً له.

(94) « عانَة » (عانات)، مدينة قديمة مشهورة على الضّفّة الغربية من أعالي الفُرات، لها تاريخ وحضارة تمتدّ جذورها من عصر السلالات الأولى لحضارة وادي الرافِدَين. ماتزال قائمة، غير أنها ستُطمَس معالمها بما يغمُرها من مياه الفُرات بعد إنجاز « سدّ الحَدِيثة » الذي يُعدُّ من المنشآت الإروائية المهِمَّة في الشرق الأوسط، وسيعوّض أهلها بمدينةٍ حَدِيثة في شرقها تُشيّد في موقع تُعرف ب « الرَّيحانة ».

(95) هِيت : مدينة تاريخية في شمال غرب بغداد بين الأنْبار والحديثة،

بهذه البلاد، ثم إلى بلاد أُخَر يطول ذِكْرها، ثم ينصبّ بعضه في دِجْلة وبعضه في بحر فارِس [96].

وللفُرات فضائل كثيرة.

رُوي : أنّ أربعة أنهار من الجنَّة : النّيل [97] والفُرات، وسَيْحانَ، وجَيْحان [98].

=

تقوم في غربيّ الفُرات على نَشَزٍ يُشرف على النهر وعلى البادية من الغرب، وتسقيها النواعير من ماء الفُرات، وتجاورها عيون القار المشهورة. وقد سمَّى الأكّدِيون هذه المدينة «إِدُو » أو « إِتُو »، ومعناه القار، وسماها هِيرُودُتس « إِيسْ » (Is).

(96) يُنظر التعليق (85)

(97) يُنظر التعليق (57)

(98) في الأصل : « سيحُون وجيحُون »، من سَبْق القَلَم، وصوابهما ما أثْبتُّ. يُنظر التعليق (15).

وعن عليّ بن أبي طالب، رضي اللّه تعالى عنه، أنه قال : « يا أهل الكُوفَة [99]، إن نهركم هذا ينصبّ إليه مِيزَابان [100] من الجنَّة ».

---

(99) الكُوفَة : مدينة إسلامية عُمَرية، ثانية المُدُن الإسلامية التي استحدثها المسلمون في العراق لأوائل الفتح في خلافة عُمر بن الخطاب رضي اللّه عنه. أنشأها سَعْد بن أبي وقّاص رضي الله عنه، بأمْرٍ منه في سنة 17هـ ــ بعد البصرة ــ في الجانب الغربيّ من أحَد فَرْعي الفُرات، على بضعة أميال إلى الشمال من « الحِيرة » حاضِرة المَنَاذِرة، لتكون قاعدة عسكريةً للقِسْم الأوسط من العراق. اتخذها عليٌّ بن أبي طالب رضي الله عنه دار الخلافة، وفيها كان استشهاده. وقد بلغت أوْج عظمتها في العصر الأَمَوي، ونافست البَصْرة، حتى دُعيت مثلهَا « قبّة الإسلام ». ثم أدركها الخراب على يد القَرَامِطة الباطِنِيين وأمثالهم، فهجرها أهلها رُويداً رويداً. وفي سنة 1290 هـ نزلها بعض النازلين، وأنشؤوا فيها البيوت والبساتين على جانبي النهر، ونمت مرافق الحياة فيها من أسواق، وحمّامات ومساكن، وأُقيم على النهر جِسْر في سنة 1317 هـ، ومُدّت إليها أسلاك البرْق في سنة 1323 هـ ورُبِطت بالنَّجَف ــ وبينهما سبعة أميال ــ بمَحَجَّة حديد « ترام ». والكُوفَة لهذا العهد على جانب من الازدهار. وفي كتابي « معجم الأقاليم » التفصيل.

(100) المِيزاب والمِئْزاب (ج مَيَازِيب ومآزيب) : المَثْعَبُ، وهو قناة أو =

ورُوي عن جعفر الصادِق (101)، رضي اللّه تعالى عنه : أنه (102) شَرِب عَلّةً (103) من ماء الفُرات، ثم استزاد، (104) وحمد الله

= أنبوبة يُصرف بها الماء من سطح بناء، أو مَوْضع عالٍ، ومنه مِئْزاب الكعْبة المشرَّفة.

(101) أبو عبد الله جعفر الصادق بن محمّد الباقر، بن عليّ زين العابدين، بن الحسين، بن عليّ بن أبي طالب، رضي الله عنهم. وأمّه أمُّ فَرْوة بنت القاسم بن محمد بن أبي بكر الصِّدِّيق رضي الله عنه، وأمّها أمُّ أسْماء بنت عبد الرحمٰن بن أبي بكر الصِّدِّيق. ولهذا كان جعفر الصادق يقول : « أنا ابن الصِّدِّيق مرّتين ». مَوْلده بالمدينة في سنة 80 هـ. أو 83 هـ. ووفاته فيها سنة 148 هـ. أدرك جدّه لأمّه القاسم بن محمد، وهو مُراهِق، وروى عنه، كما روى عن أبيه وعُروة بن الزُّبير وعَطاء ونافِع والزُّهريّ. وبلغ في الفقه درجة عالية، وكان من عِظام أئمته في الإسلام.

(102) في « معجم البلدان، 6 / 348 ط . مصر » : وَرُوي أن أبا عبد الله جعفر بن محمد الصادِق شرِب من ماء الفُرات، ثم استزاد واستزاد، فحمد الله وقال : « نهرٌ ما أعظم برَكَته ! ولو عَلِم الناس ما فيه من البَرَكة لضرَبوا على حافَتَيْه القِباب. ولولا ما يُداخله من الخطّائين ما اغتَمَس فيه ذو عاهَة إلّا برَأ » (في المطبوع : برىء).

(103) العَلّة : الشَّرْبة المكرَّرة.

(104) في الأصل : « استراد » بالرَّاء، (تصحيف).

تعالى، وقال : « ما أعظَمَ بَرَكَتَهُ ! لو عَلِم الناس ما فيه من البَرَكة، لضربوا على حافَتَيْهِ القِباب. ولولا ما يُداخِله من الخطّائين [105] ما انْغمس فيه ذُو عاهة إلّا بَرَأ ».

وعن السُّدِّيِّ [106] رضي اللّه تعالى عنه : « أنّ الفُرات مَدَّ في زمن عُمَر، رضي اللّه تعالى عنه، فألقى رُمّانة عظيمة فيها كُرٌّ [107] من

---

(105) في الأصل : « لولا ما بدِجْلة من الخطّائين، من سَبْق القلَم والكتابة السريعة.

(106) السُّدِّي : نسبة إلى السُّدَّة، وهي الباب، عُرِف بها جماعة، أشهرهم السُّدِّيُّ الكبير إسماعيل بن عبد الرحمٰن : تابعيّ حِجازي، رَوَى عن أنس بن مالك وغيره، وكان ثِقَةً مأموناً. مات سنة 127 أو 128 هـ. ثم السُّدِّي الصغير محمّد بن مروان بن عبد الرحمٰن، رَوَى عن الكَلْبِي وداوود بن أبي هِنْد وهشام بن عُرْوَة.. وقال علماء الجَرْح والتعديل : « كان ضعيفاً مُنْكَر الحَديث ». وهذا هو صاحب الخَبَر المذكور كما جاء في كتاب « أخبار بغداد » للمؤلِّف نفسه، نقلًا عن ياقوت، ومن هذا يتبيّن أن ترضِّي المؤلِّف له، وهي صيغة دُعاء مخصوصة بالصَّحَابة الكِرام، رضي اللّه عنهم — هي من سَبْق القلَم.

(107) الكُرُّ : مِكْيال، خَصّه بعضهم بأهل العراق، غير أنه وَرَد في حديث ابن سِيرين : « إذا بلغ الماء كُرّاً لم يحمل نَجَساً ». وفي =

الحبِّ. فأمر عُمَر المسلمين أن يقتسموه بينهم. وكانوا يَرَوْنها من الجَنَّة (108).

★ ★ ★

هذا، واستيفاءُ ذِكْر الأنهار، يحتاج إلى أَسْفار، وما لا يُدْرك كلّه لا يُترك كلُّه. وفيما ذكرناه كفاية، لمن أَخَذَت بِيَدِهِ الهِداية.

وَلْنَذْكُر ما ذَكَره الحُكَماء في سبب تكوّنها :

= المعاجم : الكُرُّ ستّة أَوْقار حِمارٍ، وهو عند أهل العراق ستون قَفِيزاً. قال ابن سيده : يكون بالمِصْرِيّ أربعين إِرْدَبّاً. قال أبو منصور : والقَفِيز ثمانية مَكَاكِيك، والمكُّوك صَاع ونصف، وهو ثلاث كَيْلَجات، قال الأزهَري : والكُرُّ من هذا الحساب اثنا عشر وَسْقاً، كلّ وَسْقٍ ستُّون صاعاً.

(108) هذا خَبَر باطل، وهو في معجم البلدان، 6 /348 ط. مصر، ونصّه فيه : « وممَّا يُروى عن السُّدِّيِّ ـــ والله أعلم بحقّه من باطله ـــ قال : « مَدَّ الفُرات في زمن علي بن أبي طالب، كرَّم اللّه وجهه، فألقى رُمّانةً قطعت الجِسر من عِظَمِها ! فأُخِذت، فكان فيها كُرُّ حَبٍّ ! فأمَرَ المسلمين أن يقتسموها بينهم، وكانوا يَرَوْنها من الجَنّة ». قال ياقوت : « وهذا باطل، لأن فواكه الجَنّة لم توجد في الدنيا. ولو لم أر هذا الخبر في عِدّة مواضع من كُتب العلماء، ما استجزتُ كتابته ». وذكر المؤلِّف رحمه اللّه هذا في كتابه « أخبار بغداد ».

فقد قيل : إن الأمطار والثلوج إذا وقعت على الجبال، تنصبّ إلى مَغارات فيها، وتبقى مخزونة فيها في الشِّتاء. فإن كان في أسافِل الجبال مَنافذُ، يَنِزُّ الماء من الأوْشال بتلك المنافِذ، فيحْصُل منها الجَداوِل، وينضمُّ بعضها إلى بعض، فيحدُثُ منها أنهارٌ وأوْدية. فإن كانت الجَريات في أعالي الجِبال، استمرَّ جرَيَانها أبداً، لأن المياه تنصبّ إلى سطح الجبال، ولا تنْقَطع لوصُول مَدَدِها من الأمطار. وإن انقطعت عند انقطاع المَدَد، بقِيَت المياه فيها واقفة، كما ترى في الأوْدية التي تجري في بعض الأوقات ثم تنقطع.

ونُقل عن صاحب [109] كتاب الجُغرافيا [110] : أن في هذا

---

(109) هو « بطلَمْيُوس » (بطلَيْمُوس، Ptolémée) القَلُوذِيّ، توفّي بعد سنة 161 م. وتُعدّ كُتبه في الفَلَك والجُغرافيا مرجعاً مهمّاً حتى « كُوبِرْنِيكُوس ».

(110) هذا هو صواب رسم « جُغرافيا ». وقد شاع رسْمُها لهذا العهد بالهاء : « جغرافية »، وهو خطأ، وهذه الصورة إنما تُكتب عند النسبة إليها مع تشديد الياء. وهي تعريب « Yéoghrafia » اليونانية. وقد عرّبها أبو الرَّيحان محمد بن أحمد البيرُوني الخوارِزْمِيّ المتوفى سنة 440 هـ : « جاوغرافيا » في كتابه « تحديد نهايات

الرُّبْع المسكون مِئَتَي نهر [111]، طُول كلّ نهر من خمسين فَرْسخاً إلى ألف فَرْسخ [112]، منها ما يجري من المَشْرق إلى المَغْرب، ومنها ما

=

الأماكن لتصحيح مسافات المساكن (ص 38 و 45) ». ورُسِمت في كتاب الزّهري « جعْرافيا » بالعين المُهملة، وهو تصحيف ولا رَيب. واستقرّ الاستعمال عند المحقّقين مِن بعد على « جغرافيا »، وهي أخفّ في اللِّسان من صيغة العلّامة البيرُوني.

(111) تحديدُ بطلمْيُوس كما في هذه الرواية عنه عددَ الأنهار بمئتين، غير صحيح. فهي على حدّ قول أبي الفداء في « تقويم البلدان (ص 44) »، « من الكثرة على حدٍّ لا يبلغ الانسان الاحاطة بجميعها، وإنما المذكور بعضها ».

(112) الفَرْسَخ : مقياس من مقاييس الطُّول، قال ابن منظور في « لسان العرب » : « ... هو ثلاثة أميال أو ستّة ». والتردد في تحديد التعريفات مرفوض، والصحيح هو ما قرّره أبو الفِداء في « تقويم البلدان (15) » قال : « وأما الفَرْسَخ، فهو عند القدماء وعند المحْدَثين ثلاثة أميال، لكن يجيء الخلاف لفظياً في الفَرْسخ إذا جُعل أذْرُعاً، فإنه بذراع القدماء تسعة آلاف ذِراع، وبذراع المحْدَثين اثنا عشر ألف ذراع. وهو على التفسيرين ثلاث مئة ألف إصْبَع، ينقص اثني عشر ألف إصبع ». قال : « وإذا علمتَ أن =

يجري من المَغْرب إلى المَشْرق، ومنها ما يجري من الشَّمال إلى الجَنوب، ومنها ما يجري من الجنوب إلى الشمال. وكلّها تبتدىء من الجِبال، وتنتهي إلى البِحار والبَطائح (113). وفي ضِمن ذلك تسقي المدائِن والقُرى. والفاضِل ينصبّ إلى البحار، ويختلط بالماء المِلْح، وتُشْرِق الشّمس على البِحار فيصْعَد بُخاراً، وينعقد غُيوماً، وتَسُوقه الرِّياح إلى الجِبال والبَرَارِي أيضاً، فيُمْطِر هناك، ويتخزَّن في الجبال، ويجري في الأَوْدية والأنهار، ويسقي البلاد والقُرى، ويرجع الفاضل منها أيضاً إلى البحار، ولا يزال كذلك كالرَّحَى، إلى أن يبلُغ الكِتابُ أجَلَه. فسُبحان المقدِّرِ ! جلّت قُدرتُه، وعظُمت حِكْمته.

= الفَرْسخ عند القدماء تسعة آلاف ذِراع، والميل ثلاثة آلاف ذِراع، وعند المُحْدَثين الفَرْسخ اثنا عشر ألف ذِراع، والميل أربعة آلاف ذِراع، فاعلمْ أن الميل على التفسيرين ثُلث فرسخ، وكلّ فرسخ ثلاثة أميال باتّفاق ». والفَرْسخ عربيّ، وليس معرَّباً عن « فرسنك » الفارسية فيما زَعَمَ بعضهم، وتوضيحه في اللسان وتاج العروس وغيرهما.

(113) البَطائِح (واحدها بَطِيحة) : المياه المجتمعة من مصابّ الأنهار في الأماكن المنخفضة، وتكون في القَدر دون البحار، أمثال بطائح العراق بين واسِط والبَصْرة التي تُعرف اليوم باسم « الأَهْوَار »، وواحدها هَوْر، وبطائح خطّ الاستواء التي تَصبُّ إليها مياه منابع النِّيل.

ماء البَحْر

ثَبَت عن النبيِّ، صلى اللّه تعالى عليه وسلّم، أنه قال في البحر : « هو الطَّهُور ماؤُه، والحِلّ ميتَتُه ».

وقد جعله اللّه سبحانه مِلْحاً أُجاجاً مُرّاً زُعاقاً (114) لِتمام مصالح مَن عَلَى وَجْه الأَرض من الآدَمِيين والبَهائِم، فإنه دائِمٌ راكِد، كثير الحيوان، وهو يموت فيه كثيراً، ويُنْتِنُ. فلَوْ كان حُلْواً، لَأَنْتَنَ مِن إقامته ومَوْت حَيَوانِه فيه، وأَجاف، وكان الهواء المحيط بالعالَم يكتسب منه ذلك ويُنْتِن ويُجِيف، فيفسُد العالَم. فاقتضت حِكْمة الرّبِّ، سُبحانه وتعالى، أن جعلَه كالملّاحة التي لو أُلقِيَ [فيها] جِيَفُ العالَم كلّه وأَنْتَانُه وأمواتُه، لم يغيِّر شيئاً، ولا يتغيّر على مُكْثه مِن حِينَ خُلِقَ إلى أن يَطويَ اللّه تعالى العالَمَ.

فهذا هو السّبب الْغائِي المُوجِبُ لِمُلُوحَتِه.

وأما الفاعِليُّ (115)، فَلِكَوْن أرضِه سَبِخَةً مالحة.

---

(114) الزُّعَاق من الماء : المُرُّ الغليظ لا يُطاق شُربه، ومن الطّعام : الكثير المِلْح (الواحد والجمع سواء).

(115) أي السبب الفاعِليّ.

ثم إن الاغتسال به نافع من آفات عديدة في ظاهر الجِلْد، وشُربه مُضرٌّ بداخِله وخارِجه. فإنه يُطلِق البَطْن، ويُهزِل، ويُحدِث حَكّة وجَرَباً ونَفْخاً وعَطَشاً. ومَن اضْطُرَّ إلى شُربِه، فَلَه طُرُقٌ من العِلاج يدفع بها [116] مَضَرَّته.

منها : أن يجعلَ في قِدْرٍ، ويجعلَ فوق القِدْر قصَبَات وعليها صُوفٌ جديد مَنْفُوش، ويُوقَد تحت القِدْر حتى يرتفع بخارُها إلى الصُّوف. فإذا كثُر عَصرَه. ولا يزال يفعل ذلك حتّى يجتمعَ له ما يريد، فيجعل في الصُّوف من البخار ما عَذُب، ويُبْقِي في القِدْر الزُّعَاق.

وفي زماننا هذا لأهل السُّفُن النارية، المعبّر عنها ب « الوَابُورَات » [117] غِنًى عن ذلك، فإن الأَبْخِرة التي تخرج من

---

(116) الأصل : « به ».

(117) الوابُورات، (واحدها وَابُور) : هي المراكب البُخارية الحديثة التي تسير بقوة النار، فرنجية دَخيلة (Va'por – Vapor)، دخلت اللغة العراقية العامية من طريق الأتراك عند تَسْيير الدّوْلة في سنة 1285 هـ هذه المراكبَ في نهر دِجْلة بين بغداد والبَصْرة. وظل استعمال هذا اللفظ دارجاً على الألسنة إلى نحو 1315 هـ، ثم اختفى، وصار الناس يُطلقون عليها « المَراكب » و « المَركَب ». وقد جارى المؤلِّف رحمه الله الاستعمال الشائع المتداوَل، ثم عَدَل عنه في كتابه « أخبار بغداد » إلى استعمال « المركب البخاري ». وكان

القِدْر المُديرة (118) لها تجتمع في محلٍّ، فتكون ماء عذباً يكفي لشُرب الراكِبين فيها.

ومنها : أن يَحفُرَ على شاطئه حُفْرة واسعة، يَرْشَحُ ماؤه إليها، ثم إلى جانبها ــ قريباً منها ــ أُخرى، تَرْشَح هي إليها، ثم ثالثة، إلى أن يَعْذُب الماء (119).

= الشاعر عبد الغفّار الأخْرس المتوفى سنة 1290 هـ، قد ركِب المَركب البخاري لأوائل العهد به من البصرة إلى بغداد، فوصفه بمقطوعة، وسمّاه « مركب الدّخان ». [وقبله سمّاه الإمام أبو الثّناء الألوسي « في غرائب الاغتراب » وقد ركبه في البحر الأسود : « سفينة الدّخان »]، واضطرَّه الوزن فشدّدَ خاء الدخَّان. فقال :

قد ركِبْنا بمرْكَب الدخّان وبلَغْنا به أقاصِي الأمانِ

ومنها :

كلّما أبعد البُخَارُ بِمسْراه قَرَّبَ السَّيْرُ بُعْدَ كلِّ مَكَانِ

(118) الأصل : المُدِير، والقِدْر مؤنثة عند جميع العرب .

(119) أقول : وذكر أبو بكر محمد بن الحسن الحاسِب الكَرَجي في =

وإذا ألجأته الضرُورة إلى شُرْب الماءِ الكَدِر، فعِلاجُه أن يُلْقِيَ

=

كتاب « إنباط المياه الخَفِية » في « باب إصلاح المياه الفاسدة » : « أن الماء المِلْح، أو الثقيل، إذا طرحتَ فيه طيناً حُرّاً مدقوقاً، ثم تركتَه حتى يسكُن ويصفو الماء، أزال عنه بعضَ المُلُوحة والثِّقَل. وإذا كِرّر ذلك عليه، كان أجودَ له. وإذا جعَلْتَه في إناء جديد حتى يقطُرَ من أسفله، أزال ذلك عنه، وأذهب أكثر فساده، بل إذا أخذتَ إناء جديداً وملأتَه من الماء وكرّرته بالطين المذكور، وتركتَه حتى يقطُرَ ـــ صلَح الماء صلاحاً كثيراً. وكلّ ماء متغيّر إذا سكّنتَه في إناء مشدود الرأس في الظل زال عنه بعضُ ما خالَطه ».

وتحدَّث في موضع آخر عن كيفية « استخراج الماء العَذْب من البحر »، فذكَر :

« أن أهل السُّفُن يستخرجون من قَرار البحر الماء العَذْب. واستخراجه أن تُتَّخَذ آنية من الآنُكِ، يكون في أسفلها ثُقُبٌ صِغار، ويكون لها فمٌ، قد وُصِل بأُنْبُوبة متّخذة من الجُلُود الرقيقة مشمَّعةٍ، فلا يدخلها الماء في خرزها، ويُسدُّ فَم هذه الجرَّة بكُرة مُهنْدَمة، قد جُعل فيها خَيْط ممدود في وسط الأنبُوبة، طولُه مثل طولها، وتُرسَل هذه الآنية إلى قَرار البحر. فإذا وصَلَتْ إليه، مُدّ الخَيْط الذي هو مشدود في الكُرَة التي في فَم الأنبوبة. [وفي نسخة : فم الآنية]، حتى يجد الهواء الذي فيها مخرجاً في

=

فيه نَوَى المِشْمِشِ، أو قِطْعة من خَشَبِ السَّاجِ (120) أو جَمْراً مُلْتهِباً يُطْفَأُ (121) فيه، أو طِيناً أرْمَنِيّاً، (122) أو سَوِيقَ حِنْطَة (123)، فإن كُدُورَتَه تَرسُب إلى أسْفَلَ، واللّه تعالى أعلم.

=

وسط الأنبوبة، فيدخلها الماء من الثُّقُب الصِّغار. ثم تخرج الآنية بالخَيْط المشدودة في عُرْوَة مركّبة عليها، فيوجد فيها ماءٌ عَذْب ».

(120) السَّاج، وتسمِّيه العامة في العراق « الصاج » : خَشَب يُجلب من الهند، وتتَّخذ منه السُّرُر والكَراسيُّ والأبواب ونحوها، وهو غاية في الصلابة والقوة والجَوْدة. وقد وصف أبو حنيفة الدينوري شجر السَّاج بأنه « شجر يعظُم جدّاً، ويذهب طولًا وعرضاً، وله وَرَق أمثال التِّرَاس الدَّيْلَمِيَّة، يتغطى الرجل بورقة منه، فتُكنُّه من المطر ! وله رائحة طيّبة تشابه رائحة ورق الجَوْز مع رِقّة ونَعْمَة ».

(121) الأصل : يطفي.

(122) الطِّين معروف، وهو أنواع تختلف باختلاف طبقات الأرض، وخلوصها من نحو الكِبريت والمعادن الفاسدة وغيرها. ومن هذه الأنواع ما يُؤكل كطين كُرَان، بُلَيدة بفارس من نواحي « دارابِجِرْدَ » قُرْب « سِيراف ». قال الإصْطَخْري (91) :

=

= « وبناحية كُرَان طِينٌ أخضر كالسِّلْقِ يُؤكَل، ليس ــ فيما علمته ــ في بلد مثله ». وكذلك ذكره ابن حَوْقَل (260). و « الطِّين النَّجاحِي »، قال ابن حَوْقَل (393) في حَدّ « قاين » : « منها [من قوهِستانْ] على مسيرة يومين مما يلي نيسابُور الطين النَّجاحِي الذي يُحْمَل إلى الآفاقِ للأكل ». ومنها نوع يُغسل به الرأس. ذكر جغرافيو العرب الأوَّلون أنه كان يُجلَب من الرَّيّ أي إقليم طِهْران، يغسل به الرأس، في غاية النعومة. ولعلّه هو المعروف ببلدنا بغداد باسم « طين خاوة » الذي يغسل به الشعر في بعض الحالات المرضية. ومن الطين ما يوصف ب « طين الحِكمة » أي الطب، من الأطيان المُركّبة. « يُستعمل في الطبّ لتوثيق آلات التقطير، والطبخ به. ويجبُر الكسر، ويشدّ العصَب والعِظام، يُلصق بشدة وقوّة ». وأجود الطين ــ بعد هذه الأنواع ــ ممَّا له خاصيات، الحُرُّ النقي الحاصل بعد المياه بالرسوب. وقد عدّوا أجوده طين النِّيل بمصْر المعروف بالإبْلِيز ــ الذي وصفته في التعليق 59 ــ قال الزَّبِيدي : « وله مزيد خصوصية في دفع الطاعون والوَباء وفساد المياه إذا أُلْقِي فيها ... ».
ثم ذكر أن « الطين أنواع، منها المختوم، والدَّقُوقي والطيطلي (؟)، والشَّامُوسي والأرْمَنِي، والخُراساني ». ولم يُفصِّل. وتولّى الشرح داوود بن عمر الأنطاكي في « تذكرة أولي الألباب »، وابن البيطار عبد الله بن أحمد الأندلسيّ المالَقي في « الجامع لمفردات =

الأَدْوية والأغذية » وغيرهما. وخلاصة ما جاء عندهما أن أشرف هذه الأَطيان الطين المختوم المعروف بطين الكاهن ... طين أحمر يكون بأطراف الرُّوم ويُتداوى به. ثم « الطين الأَرْمَنِي ». قال الأنطاكي : (1 / 234) « هو أقرب الأطيان إلى المختوم ». والجلّ على أنه أفضل من « طين شامُوس »، وأجوده الذهَبي الحُلْو الدَّسِم. يزيد بالخاصية النفع من الطاعون كثيراً، وصلاح ضيق النفَس شرباً بالخلّ، ويضرّ الطِّحال، ويُصلحه المُصْطَكيّ ». وقال ابن البيطار : « طين أرمَنِي » : جالينوس : [الطبيب اليوناني] الطين الأَرْمَني يُجلَب من أَرْمينية » القريبة من « قَيَاديوقيا » [كذا في مطبوع مِصْر بالقاف والياء المثنَّاة التحتية، والصحيح « قَبَادُوقيا. Cappadocia » : ولاية واسعة في « الأناطول »، عرّبه العرب « القَباذق »]. وقال في صفته : « هو طين يابس جداً، يضرب لونه إلى الصفرة ، وينسحق بسهولة كما تنسحق النورة. وكما أن النّورة إذا سُحقت لم يوجد فيها شيء رملي، كذا لا يوجد أيضا في هذا الطين شيء من الرمْلِية ». وذكر أشياء من خاصياته، وأطال في وجوه الانتفاع به، إلّا ذكْر إزالة كُدُورَة الماء به، فإنّه لم يعرض له. ويبدو لي أن السبب في استعماله لذلك هو خلوصُه من الرملية.

(123) مدقوق الحِنطة.

خاتمة نسأل اللّه تعالى حُسْنَها

في بيان بعض الآداب المتعَلِّقة بالماء، المأثورة عن صَفْوَة الرّسُل والأنبياء، صلى الله عليهم وسلَّم، وشرَّف وعظَّم وكرَّم.

فَمن آدابه الشُّرب قاعداً. فقد نَهَى صلى اللّه تعالى عليه وسلّم عن الشُّرب قائماً. وصحَّ عنه أنه أمر الذي شَرِب قائماً أن يستقِيءَ. وصحَّ عنه أنه شَرِب قائماً.

قالت طائفة من أهل العِلْم : هذا ناسِخ للنَّهْي.

وقالت طائفة : بل مبيِّن أن النّهي ليْس للتحريم، بل للارشاد وترك الأَوْلى.

وقالت طائفة : لا تعارُض بينهما أصلًا، فإنه إنما شَرِب قائماً للحاجة. فإنه جاء إلى زَمْزَم [124]، وهم يستقُون منها، فاستقَى، فناوَلُوه الدَّلْو، فشَرِب وهو قائم. وهذا كان مَوْضِع حاجة.

وللشُّرب قائماً آفات عديدة :

---

(124) تقدم في التعليق (45).

منها أنه لا يحصُل له الريّ التامّ، ولا يستقرّ في المَعِدة حتى تَقسِمَه [125] الكَبِد على الأعضاء، وينزل بسرعة وحِدَّةٍ [126]، إلى المَعِدة، فيُخشَى منه أن يبرّد حرارتها ويشوِّشَها [127]، ويسرع النفوذ إلى أسفل البَدَن بغير تدريج. وكل هذا يَضرّ بالشارب.

وأما إذا فعله نادراً، أو لحاجة، لم يضرّه.. ولا يُعترض بالعوائد على هذا، فإن العوائد طبائع ثوانٍ، ولها أحكام أُخرى، وهي بمنزلة الخارج عن القياس عند الفقهاء.

ومن آدابه : أن يَقطع عن الشُّرب ثلاثَ مرات. ففي صحيح مُسْلم من حديث أنس بن مالِك قال : « كان رسول اللّه، صلى اللّه تعالى عليه وسلّم، يتنفّس في الشَّراب ثلاثاً، ويقول : إنه أرْوى وأمْرأ وأبْرَأ ». والشراب في لسان الشّارِع وحَمَلة الشّرْع هو الماء. ومعنى « تنفّسه في الشراب » إبانته القَدَحَ عن فِيه، وتنفّسه خارجَه، ثم يعود إلى الشراب كما جاء مصرَّحاً به في الحديث الآخر : « إذا شَرِبَ

(125) الأصل « يقسمه »، والكَبِد مؤنّثة. وفي الحديث الشريف : « في كلّ كَبِد حَرَّى أجْر ».

(126) الأصل « وحده ».

(127) قال أبو منصور الأزْهَري : التشويش لا أصل له في العربية، وهو من كلام المُوَلّدين، وأصله التهويش وهو التخليط.
وقال الجوهريّ : التشويش التخليط، وقد تشوَّش عليه الأمر.

أحدُكم، فلا يتنفّسْ في القَدَح [128] ولكن لِيُبِن [129] الإناءَ عن فيه ». وفي هذا الشّرب حِكَم جمَّة، وفوائد مهمّة. وقد نبّه صلى اللّه تعالى عليه وسلّم على مجامِعها بقوله : « إنه أرْوَى، وأمْرَأ، وأبْرَأ ». ف « أروى » : أشدّ رِياً، وأبْلَغُه، وأنفَعُه، و « أبرأ » : أفعلُ، من البُرْء، وهو الشفاء، أي يُبرىء من شدَّة العطَش، وريُّهُ لتردّده على المَعِدة الملتهِبة دفعات، فتسكّن الدفعة الثانية ما عجزت الدفعة الأولى عن تسكينه، والثالثة ما عجزت الثانية عنه. وأيضاً فإنه أسْلَم لحرارة المَعِدة، وأبقى عليها من أن يهجُم عليها البارد وَهْلة واحدة ونَهْلة واحدة [130]. وأيضا فإنه لا يُروي لمصادفته لحرارة العطَش لحظة، ثم يُقلِع عنها، ولم تُكْسَر سَوْرتُها وحِدَّتُها [131]، وإن انكسرت لم تَبْطُل

---

(128) القَدَح : إناء يُشرب به الماءِ ونحوه. فائدة : قال الفيلسوف الحكيم عبد اللطيف البغدادي في كتاب شرح سُنَن ابن ماجَهْ، ونقله عنه تلميذه البرزالي في كتاب الأربعين الطبية (ص 35) : « كان للنبي ﷺ. قَدَح من قَوارِيرَ يَشرب فيه ».

(129) لِيُبِنْ : ليُبْعد، أمر.

(130) الوَهْلة : أوَّل شيء. والنَّهْلة : الشَّرْبة الأولى.

(131) السَّوْرَة من الشَّراب أو البرد أو الغَضَب، وغير ذلك : شِدَّته وحِدَّته وهِياجُه.

بالكلِّية، بِخِلاف كَسْرِها على التمهُّل والتدريج. وأيضاً فإنه أسلمُ عاقبة، وآمن غائلةً [132] من تَنَاوُلِ جميع ما يُروِي دفعة واحدة، فإنه يُخَاف منه أن يطفىء الحرارة الغَرِيزية بشِدّة برده وكثرة كَمِّيته، أو يُضعِفها فيؤدّي ذلك إلى فَساد مِزاج المَعِدة والكَبِد، وإلى أمراض رديئة [133]، خصوصا في سكّان البلاد الحارّة، كالعراق والحِجاز واليَمَن ونحوِها. وفي الأزمنة الحارّة، كشدّة الصيف، فإن الشُّرْبَ وهْلةً واحدة مَخُوف عليهم جدّاً، فإن الحارّ الغريزي ضعيف في بواطن أهْلها وفي تلك الأزمنة الحارّة.

وقوله : « وأمرأ » هو أفعل، من : مَرِىء الطعام والشراب في بَدَنه، إذا دَخله وخَالطَه بسهولة ولذّة ونَفْع. ومنه : ﴿ فَكُلُوهُ هَنِيئاً مَرِيئاً ﴾ [134] : هَنيئاً في عاقِبته، مَرِيئاً في مَذَاقه. وقيل : معناه أنه

---

[132] الغائِلة : الفسادُ والشّرّ، و ـــ : الدَّاهِية.

[133] الأصل « ردية ».

[134] جزء من الآية الرابعة من سورة النِّساء :

﴿ وآتوا النّساء صَدُقاتِهن نِحْلة. فإنْ طِبْنَ لَكُمْ عَنْ شيءٍ مِنْه نَفْساً، فَكُلوه هَنِيئاً مَرِيئاً ﴾. والنِّحْلَة : العَطِيّة والهِبَة.

أسرعُ انحداراً عن المريّ [135] لسهولته وخِفّته عليْه، بخلاف الكثير، فإنه لا يسهُل على المريّ انحدارُه.

ومن آفات الشُّرب نَهْلةً واحدة أنه يُخاف منه الشَّرَق [136] بأن ينسدَّ مَجْرى الشَّراب لكثرة الوارِد عليه فيَغَصُّ به. فإذا تنفّس رُوَيداً ثم يَشْرب، أمِن ذلك.

ومن فوائده : [137] أن الشارب إذا شَرِب أوّل مرَّة، تصاعد البُخار الدخانيّ الحارّ، الذي كان على القلب والكَبِد، لوُرود الماء البارد عليه، فأخرجَتْه الطبيعة عنها. فإذا شَرِب مرّة واحدة، اتفق نزول الماء البارد وصعود البخار، فيتدافعان ويتعالجان، ومن ذلك يحْدُث

---

(135) المَريّ، والمَرِيءُ : رأس المَعِدة والكَرِش اللّازق بالحُلْقوم. كذا قالوا، وأحسن منه أن يقال : هو مَجْرَى الطعام والشراب من الحُلقوم إلى المَعِدة. قال أبو منصور : أقْرَأني أبو بكر الإياديّ « المَرِيء » لأبي عبيدة، فهمَزَه بلا تشديد. قال : وأقْرأنيه المُنْذري « المَرِيّ » لأبي الهَيْثَم، فلم يَهْمِزْه، وشدَّد الياء.

(136) الشَّرَق : الشَّجا والغَصَّة. والشَّرَق بالماء والرِّيق ونحوهما : كالغَصَص بالطعام، وشَرِق يَشْرَق، شَرَقاً، فهو شَرِقٌ. ويقال : أخذتْه شَرْقة فكاد يموت.

(137) كَتَب المؤلِّف تحتها : « أي القطع ».

الشَرَقُ والغُصَّة، ولا يهنأ الشارب بالماء، ولا يُمْرِئُه [138]، ولا يَتِمُّ رِيُّه.

وقد روى عبد الله بن المبارَك [139] والبَيْهَقي [140] وغيرهما عن النبي، صلى اللّه تعالى عليه وسلّم : « إذا شَرب أحدُكم، فلْيَمُصَّ الماء مصّاً، ولا يَعُبَّ عبّاً، فإنه من الكُبَاد ». والكُبَاد، بضمّ الكاف وتخفيف الباء، هو وَجَع الكَبِد.

وقد عُلِم بالتجربة أن وُرُودَ الماء جُملة واحدة على الكَبِد يُؤلمها ويُضعف حرارتها. وسبب ذلك المضادَّة التي بين حرارتها وبين ما وَرَد عليها من كيفية المَبْرود وكَمِّيته. ولو وَرَد بالتدريج شيئا فشيئا، لم يُضَادِد حرارتها، ولم يضعفها. وهذا مثاله صبُّ الماء البارد على القِدْر وهي تَفُور، لا يضرّها صَبُّهُ قليلًا قليلًا.

---

(138) الأصل : « ولا يمريه »

(139) ينظر التعليق (54)).

(140) هو أحمد بن الحسين بن علي، أبو بكر : من أئمة الحديث. نشأ في بَيْهَق بإيران، ورحل إلى بغداد والكُوفة ومكّة في طلب الحديث. ولد سنة 384 هـ، وتوفي سنة 458 هـ. صنّف زهاء ألف جزء، منها « السُنَن الكُبرى، ط. عشر مجلّدات » و « السُنَن الصُغرى »، و « فضائل الصحابة ». مصادر ترجمته في : أعلام الزرْكلِيّ، ودائرة المعارف الإسلامية، وتاريخ آداب اللغة العربية لبرُوكِلْمان.

وقد روى التِّرْمِذي (141) في « جامِعه » عنه، صلى اللّه تعالى عليه وسلّم : « لا تَشْرَبوا نَفَساً واحداً، كشُرب البعيرِ، لكن اشرَبوا مثْنى وثُلاثَ، وسمُّوا إذا أنتم شَرِبْتم، واحْمَدُوا إذا أنتم فَرَغتم » وللتسمية أولَ الطعام والشراب، وحَمْد الله في آخره، تأثير عجيب في نفْعه واستمْرائه ودفْع مَضَرَّته.

قال الإمام أحمد (142) : « إذا جمع الطعام أربعاً فقد كَمُل : إذا ذُكِر اسم اللّه في أوّله، وحُمِد اللّه في آخره، وكثُرت عليه الأيْدي، وكان من حِلٍّ ».

---

(141) محمد بن عيسى بن سورة السُّلَمي، البوغِي التِّرْمِذي : من أئمة الحديث وحُفّاظه. من أهل تِرْمِذ على نهر جِيحُون ـــ ولد سنة 209 هـ، وتوفي سنة 279 هـ. تلمذ للإمام البُخاري، ورحل إلى خُراسان والعراق والحِجاز، وعَمِي في آخر عمره. من تصانيفه : « الجامع الكبير » في الحديث، مجلّدان، وقد طبع. و« الشمائل النبوية ـــ ط »، و « التاريخ »، و « العِلَل ». مصادر ترجمته في دائرة المعارف الإسلامية، والأعلام، وبرو كِلْمان.

(142) الإمام أحمد بن محمد بن حَنْبَل، أبو عبد الله ، الشيباني الوائِلي :ولد ببغداد سنة 164 هـ، ونشأ على طلب العلم، وسافر في سبيله إلى حواضر الإسلام في الشرق والغرب، وبلغ أعلى مراتب =

ومن آدابه :

أن يُغطّى الإناء الذي هو فيه. فقد رَوَى مُسْلم في صحيحه

= الاجتهاد مع النُّسك والزُّهد والوَرَع الشديد. وامتُحن بفتنة القَوْل بخَلْق القرآن من ضَلالات المُعتزلة التي بَدَؤُوها أيام المأمون، وربطوها بسياسة الدولة، وكانت شرّ ما دُهِيَت به حرية الفكر والعقيدة في الإسلام. وأراده المعتصم بالله الذي وَرِث من أخيه هذا الفساد على الإذعان لذلك، فامتنع، فسجنه ثمانية وعشرين شهراً، فلم تَلِن قَناتُه له، وأطلق سنة 220 هـ، وقد تضاعفت مكانته عند الشعب عُلواً ورِفعة. ولما استُخلِف المتوكّل على الله بن المعتصم أبطل هذا الضلال، وأعاد إلى العلماء حرية العقيدة، وأكرم الإمام وقدَّمه، ومكث مدّة لا يُوَلّي أحداً إلا بمشورته، وتوفي في سنة 241 هـ ببغداد، وهو على تقدّمه عند الخليفة، وكانت حشود تشييعه في الشوارع والنهر أعظم ما شهدته بغداد من مظاهر التقدير والإكبار في تاريخها كلّه. صنّف الإمام أحمد « المُسْنَد » المشهور، وقد احتوى على ثلاثين ألف حديث، و « التاريخ »، و « عِلَل الحديث »، و « فضائل الصحابة »، و « الردّ على من ادّعى التناقض في القرآن »، و « المسائل »، وغيرها. ومما صُنّف في سيرته : « مناقب الإمام أحمد ــ ط » لابن الجَوْزي، و « ابن حَنْبَل ــ ط » للشيخ محمد أبي زُهرة من =

من حديث جابر [143] بن عبد الله، قال : « سمعت رسول اللّه، صلى الله تعالى عليه وسلّم، يقول : غَطُّوا الإناء، وأوْكُوا السِّقَاء [144]، فإن في السَّنة ليلة ينزل فيها وَبَاء، لا يمرّ بالإناء ليس عليه غِطَاء، أو سِقَاءٌ ليس عليه وِكَاءٌ، إلّا وقع فيه من ذلك الدَّاء ». وهذا مما لا يناله علُوم الأطباء ومعارفهم، وقد عَرَفه من عَرَفه من عقلاء الناس بالتجربة.

قال اللّيث [145] بن سَعْد، أحد رواة الحديث : « الأعاجم عندنا يتّقون تلك الليلة في السّنَة في كانون الأول منها ».

= علماء مصر المعاصرين. وبعض مصادر ترجمة الإمام في : دائرة المعارف الإسلامية، وفي الأعلام. وأزيد على ما ذكره منها : تهذيب الكمال 1 / 437 – 470هـ.

(143) ينظر التعليق (51)

(144) وَكَى السِّقاء يَكِيه وَكْياً، وأوْكَاه يُوكِيه إيكاءً، وأوْكاه على ما فيه : شده بَالوِكاء، وهو الخيط الذي يُشدّ به السِّقاء، أو الصرَّة، أو الكِيس. وفي المثل الذي يُقال لمن يُوبَّخ بشيء ضَارٍّ عَمِلَه : « يَدَاكَ أوْكَتا، وَفُوكَ نَفَخَ ».

(145) الليث بن سعد بن عبد الرحمن، الليثي بالولاء، أبو الحارث : إمام أهل مصر في عصره حديثاً وفقهاً. ولد سنة 94 هـ بقَلْقَشَنْدَة، وتوفي بمصر سنة 175 هـ. قال الإمام الشافعي : « الليث أفقه من مالِك، إلا أن أصحابه لم يقوموا به ». مصادر ترجمته في الأعلام 6 /115 ط 2.

وصحّ عنه أنه أمر بتخمير الإناء، [146] ولو أن يَعْرِض عليه عُوداً. وفي عَرْض العُودِ عليه من الحِكْمة أنّه لا يُنْسي تخميره، بل يعتاده حتى بالعُود. وفيه أنه ربما أراد الدَّبِيبُ أن يسقُط فيه، فيمّر على العُود فيكون العُود جِسراً له يمنعه من السقوط فيه.

وصحّ عنه، صلى اللّه تعالى عليه وسلّم، أنه أمر عند إيكاء الإناء بذِكْر اسم اللّه، فإن ذِكْر اسْمِ الله عند تخمير الإناء يطرُد عنه الشيطان، وإيكاؤه يطردُ الهَوَامّ [147]. ولذلك أمر بِذكْر اسم الله تعالى في هذين المَوْضعين لهذين المعنَيَيْن. وروى البخاري في صَحيحه من حديث ابن عباس [148] رضي اللّه تعالى عنهما : أن رسول الله، صلى اللّه تعالى عليه وسلّم، نهى عن الشّرب مِن في السِّقاء. وفي هذا آداب عديدة :

ـ منها أن تردّد أنفاس الشارِب فيه، يُكسِبه زُهُومَة [149] ورائحة كريهة يُعافُ لأجلها.

---

(146) ينظر التعليق (36)

(147) الهَوَامّ : جمع الهامّة، وهي كل ذي سُمّ يقتل سُمُّه.

(148) ينظر التعليق (72).

(149) الزّهُومَة ريح لَحْم سَمين مُنْتِن، وفيها أقوال أخرى في معاجم اللغة.

ـــ ومنها أنه رُبما غَلَب الداخل إلى جَوْفه من الماء فتضرّر به.

ـــ ومنها أنه ربما كان فيه حيوان لا يشعُر به فيؤذيه.

ـــ ومنها أن الماء رُبما كان فيه قَذاةٌ [150] أو غيرها، لا يراها عند الشّرب، فتَلِج جَوْفَه [151].

ـــ ومنها أن الشّرب كذلك يملأ البطن من الهواء، فيضيق عن أخذ حظّ من الماء، ويُزاحمه، أو يؤذيه. ولغير ذلك من الحِكَم.

فإن قيل : فما تصنعون بما في « جامع التّرْمذي » [152] أن رسول اللّه، صلى اللّه تعالى عليه وسلّم، دعا بِإداوةٍ [153] يَوْمَ

---

(150) القَذَاة : ما يقع في الماء والشراب والعَيْن من تراب وغير ذلك. جمْعه قَذَى.

(151) وَلَج الشيء في غيره يَلِج لِجَةً وَوُلُوجاً : دخل فيه. وَوَلَجَ البيت دخله.

(152) ينظر التعليق (141)

(153) الإداوة : إناء صغير من جلْد، يُتَّخَذ للماء، كالسطيحة ونحوها، جمعها أَدَاوَى. والإداء : الوِكَاء وهو شِدَاد السِّقاء، وفي الحديث : « لا تشْرَبُوا إلّا من ذِي إِدَاء ».

أُحُدٍ (154)، فقال : إخْتَنَتْ فَمُ الإِدَاوَةَ (155)، ثم شَرِبَ منها من فَمِها » ؟

---

(154) أُحُد : جبل مشهور في شمالي المدينة المنورة، بينه وبينها نحوُ ميل. كانت عنده الوقْعة الفظيعة بين المسلمين والمُشركين لسنتين وتسعة أشهر وسبعة أيام من مهاجرة النبي ﷺ. كُسرت فيها رَبَاعيته وشُجَّ وجهُه الشريف وكُلِمت شفته، وقُتل عمّه حمزة بن عبد المطلب رضي اللّه عنه، وكانت وقعة بَلاء وتمحيص.

(155) إختنث (الأصل بالحاء المهملة وهو تصحيف) : لَوَى وثَنَى، يقال : خَنَثَ القِرْبة يَخْنِثُها خَنْثاً، فانْخَنَثَتْ. وخنَّثها، واخْتَنَثَها : ثَنَى فاها إلى خارج فَشرِب منه. وإن كسرْتَه إلى داخلٍ فقد قَبَعْتَهُ. وفي الحديث : أنه، ﷺ، نهى عن اخْتِناث الأسْقِية. قال أبو السعادات بن الأثير في تأويله : وإنما نهى عنه لأنه يُنْتِنُها، فإن إدامة الشّرب هكذا مما يُغَيِّر ريحها. وقيل لايُؤمَن أن يكون فيها هامّة، وقيل لئلا يترشَّش الماء على الشارب لِسَعَة فَمِ السِّقاء. وقد جاء في حديث آخر إباحته، قال : ويحتمل أن يكون النهي خاصّاً بالسِّقاء الكبير دون الاداوَة، ومنه حديث ابن عمر : أنه كان يشرب من الاداوة ولا يَختَنِثُها، ويسمّيها « نَفْعة »، سمَّاها بالمرَّة من النَّفْع، ولم يعرِّفها للعَلَمية والتأنيث.

قلنا : « نكتفي فيه بقول التِّرْمِذي : هذا حديث ليس إسناده بصحيح. وعبد اللّه بن عمر العُمَري [156]، يُضعَّف من قِبل حِفظه، ولا يُدْرى سَمِع من عِيسَى أم لَا ؟ انتهى ». يريد عيسى بن عبد الله [157] الذي رواه عنه عن رجل من الأنصار.

---

(156) عبد الله بن عمر بن حَفْص بن عاصم بن عمر بن الخطاب العدَوي المدَني، أبو عبد الرحمٰن العُمَري. في « تهذيب التهذيب »: روى عن نافع وزيد بن أسلم وسعيد المَقبُري.. وعنه كثيرون. قال أبو حاتم : « رأيتُ أحمد بن حَنْبَل يُحسن الثناء عليه ». قال ابن سعد : خرج مع محمد بن عبد الله بن حسن، فحبَسَه المنصور، ثم خلّاه. وتوفي بالمدينة سنة إحدى أو اثنتين وسبعين ومئة من خلافة هارون.

(157) في « تهذيب التهذيب » : عيسى بن عبد الله ثلاثة : ـــ عيسى بن عبد الله بن أنيس الأنصاري، روى عن أبيه، وعنه عبيد الله وعبد الله ابنا عُمر العُمَريان. وقال الآجُرّي : عن أبي داوود في حديث عبد الأعلى عن عبيد الله بن عمر عن عيسى عن أبيه في الشّرب من الإداوة : هذا لا يُعرَف عن عبيد الله، والصحيح عن عبد الله بن عُمر. وذكره ابن حِبّان في الثِّقات. قلت : قد رواه القَطّان عن عبيد الله بن عمر عن عيسى، لكن لم يقل عن أبيه، أرسله. أخرجه مُسَدَّد في مُسنده عن يحيى.

ومنَ آدابه : أن لا يَشْرب من ثُلْمَةِ الإناء. ففي سُنَن أبي داوود [158] من حديث أبي سعيد الخُدْري [159]، قال : « نهى رسول

---

(158) هو سليمان بن الأشعث بن إسحاق الأزْدي، السِّجِسْتاني، أبو داوود : إمام أهل الحديث في زمانه، أصله من سِجِسْتان. ولد سنة 202 هـ، وطوَّف في البلاد، وكتب عن العراقيين والشاميين والجَزَرِيين والمِصريين والخُراسانيين. وقدم بغداد مِراراً، ثم نزل البَصْرة وتوفي فيها سنة 275 هـ. ونسبته السِّجَسْتاني، هي إلى سِجِسْتان الإقليم المشهور عند بعضهم. وقال آخرون بل نسبته إلى سجَستان أو سجستانة قرية من قرى البَصْرة. له « السُّنَن — ط »، أحد كتب الحديث الستة، وكان يقول : « كتبت عن رسول اللّه، ﷺ، خمس مئة ألف حديث، انتخبتُ منها ما ضمَّنته هذا الكتاب ــ يعني السُّنَن ــ جمعتُ فيه أربعة آلاف وثمان مئة حديث، ذكرتُ الصحيح وما يُشبهه ويقاربه ». وكان في الدرجة العالية من النّسك والصلاح. وللجلودي كتاب « أخبار أبي داوود ». وله « المراسيل ــ ط »، و« البعث » و « تسمية الإخوة ». ومصادر ترجمته في الأعلام 3 /182.

(159) هو سعد بن مالك بن سنان الخُدْري الأنصاري، أبو سعيد، من أصحاب رسول الله، ﷺ. نسبته إلى « خُدْرة » بطن من الخَزْرَج. غزا رضي الله عنه اثنتي عشرة غزوة. وله في الصحيحين 1170 حديثاً.

اللّه، صلى اللّه تعالى عليه وسلّم، عن الشُّرب من ثُلْمَة القَدَح، [160] وأن يَنْفُخ في الشَّراب ».

وهذا من الآداب التي يتمّ بها مصلحة الشارب، فإن الشّرب من ثُلْمَة القَدَح فيه عِدّة مفاسد.

أحدها : أنّ ما يكون على وجه الماء من قَذًى [161] أو غيره، يجتمع إلى الثُّلْمَة، بخلاف الجانب الصحيح.

الثاني : أنه رُبَما يُشَوِّش [162] على الشارِب، ولم يتمكّن من حسن الشُّرب من الثُّلْمَة.

الثالث : أن الوَسَخ والزُّهُومة [163] يجتمع في الثُّلْمَة، ولا يصل إليها الغسل كما يصل إلى الجانب الصحيح.

---

(160) ينظر التعليق (128)

(161) ينظر التعليق (150).

(162) ينظر التعليق (127)

(163) ينظر التعليق (149)

الرابع : أن الثُّلْمة محلّ العَيْب في القَدَح، وهي أردأ مكان فيه، فينبغي تجنّبه وقصد الجانب الصحيح، فإن الردىء من كلّ شيء لا خير فيه. ورأى بعض السلَف رجلًا يشتري حاجة رديئة، فقال :

« لا تفعل، أما علِمت أن اللّه تعالى نزع البَرَكة من كلّ رديء ؟ »

الخامس : أنه ربما كان في الثُّلْمة شِقّ وتحديد يجرح شَفَة الشارب.

ولغير هذه المفاسد.

وأما النفخ في الشراب، فإنه يُكسِبه من فَمِ النافخ رائحة كريهة، يُعَاف لأجلها، ولاسيما إن كان متغيِّر الفَم. وبالجملة فأنفاس النافخ تخالطه.

ولهذا جمع رسول اللّه، صلى اللّه تعالىٰ عليه وسلّم، بين النهي عن التنفّس في الإناء والنفخ فيه، في الحديث الذي رواه التّرْمِذي [164] في صحيحه عن ابن عباس [165]، رضي الله تعالى عنهما، قال : « نهى رسول اللّه، صلى اللّه تعالى عليه وسلّم، أن يُتنفّس في الإناء ويُنفخ فيه ».

---

(164) ينظر التعليق (141)

(165) ينظر التعليق (72)

فإن قيل : « فما تصنعون بما في الصحِيحَيْن من حديث أنس [166] : أن رسول اللّه، صلى اللّه تعالى عليه وسلّم، كان يتنفّس في الإناء ثلاثاً ؟، قيل : نقابله بالقَبول والتسليم، ولا معارضة بينه وبين الأوّل. فإن معناه أنه كان يتنفّس في شربه ثلاثاً، كما سبق. وذكر الإناء، لأنه آلة للشرب ».

وهذا كما جاء في الحديث الصحيح : « أن إبراهيم ابن رسول اللّه، صلى اللّه تعالى عليه وسلّم، مات في الثّدْي »، أي في مدة الرَّضاع.

وها هنا فائدة يجب التنبّه لها، وهي أن شُرب سُؤْر [167] المسلِم مما لا بأس به، وإن كان كثير من الطِّباع يَنْفُر عنه، لأنه صلى اللّه تعالى عليه وسلّم كان يشرَب من الإناء، ويُعطِي سُؤْرَه مَن حَضَر مِن أصحابه عليه الصلاة والسلام.

---

(166) ينظر التعليق (40)

(167) السُّؤْر : بقية الشيء، جمعه أسْآر، وأسْأَر منه شَيْئاً، أبقاه. وفي الحديث : « إذا شربِتم فأسْئِرُوا »، أي : أَبْقُوا شيئاً من الشراب في قَعْر الإناء.

وثبت في الصحيح أنه، صلى اللّه تعالى عليه وسلّم، شرِب من قَدَح فيه لَبَن، وشرَب منه الحاضرون من الصحابة، رضوان اللّه تعالى عليهم أجمعين، واحداً بعد واحد.

وصحّ عنه، صلى اللّه تعالى عليه وسلّم، أنه قال : « من التواضع شُربُك من سُؤْرِ أخيك ».

وقد شاع بين الناس أن « سُؤْر المؤمن شفاء، وإذا زيد عليه صار داءً »، حديث مروي عن رسول اللّه، صلى اللّه تعالى عليه وسلّم، مع أنه لا أصل له.

قال الجدّ (168) نوَّر الله تعالى مَرقده وأسكنَه مَولاه خُلْدَه، في

---

(168) هو شيخ مشايخنا السيِّد الإمام محمود بن عبد الله رئيس المدرّسين ببغداد، بن محمود الخطيب، شهاب الدين، أبو الثناء الألُوسي البغدادي، أحد أذْكياء البشَر، ومن كبار المجتهدين وفحول النظّار والنقّاد. إمام مجدِّد، مفسّر، محدِّث، فقيه، أصولي، مناظر، لُغَوي، شاعر، كاتب، له إبداع في الإنشاء. وُلد ببغداد سنة 1217 هـ، وثقِفَ العربية والعلوم الإسلامية من أبيه وغيره، فبَرَع ونَبَغ، وتصدّر للوعظ في أكبر مساجد بغداد يافعاً، فبهر الناس، وتسامع به أولو

= الأمر، فَأَمُّوا مجالس وَعْظِه ليصدّق الخُبْرُ الخَبَرَ، فأكبروه، وعهِدوا إليه التدريس، وقُصِد من كل فَجّ، وقلّد الافتاء الرسمي وولاية أوقاف « مدرسة مَرْجان » التاريخية في نحو الحادية والثلاثين من عمره. وفي نحو هذه السنة بدأ تأليف تفسيره العظيم « روح المعاني »، وعلَت مكانته، وحارب البِدَع، وناهض أصحاب الأهواء، وعُني بالاصلاح الديني، واهتمّ بالأدب والاصلاح اللغوي. فحُسد على مكانته وذيوع اسمه، وحورب، وأُضرّ برزقه، فسافر إلى إسلامبول سنة 1267 هـ (في أعلام الزرِكْلِي : سنة 1262 هـ، وهو خطأ.) حاملًا تفسيره إلى البلطان العثماني عبد المجيد خان، وامتدت رحلته 21 شهراً، فأكرمه وردّ إليه أرزاقه، بعد أن عرَّفه إليه شيخ الاسلام أحمد عارف حِكْمة الله الحسيني صاحب خزانة الكتب الشهيرة في المدينة المنورة، وعاد إلى بغداد، وأقام يدرّس ويؤلّف حتى وافاه الأجل سنة 1270 هـ عن ثلاث وخمسين سنة. عمرٌ قصير، ولكنه عريض حافل بالعطاء الغزير والابداع والخير. ومن تصانيفه : « روح المعاني ». وهو مظهر استقلاله الفكري واجتهاده الحرّ وعبقريته. و« الأجوبة العراقية عن الأسئلة الايرانية ». وقد قال الشاعر عبد الباقي العُمَري في تقريظه له :

إن السؤالَ والجوابَ مثلما   قد قيل في التمثيل أُنثى وذَكر !

« شرح الطُّرَّة » (169) **: « وسُؤْر المؤمن شِفاء، وإن اشتهر حديثا، ليس بحديث كما نصّ عليه المحدّثون ».**

★ ★ ★

و « المقامات » : كتبها بأسلوب بارع أقرب إلى النثر المرسَل مع أسجاعه السهلة، وضمّنها هموم نفسه وزمانه. و« نشوة الشَّمُول في السفر إلى إسْلامْبُول »، و « نَشْوة المُدام في العوْد إلى دار السلام »، و « غرائب الاغتراب ونزهة الألباب في الذهاب والإقامة والإياب » ــ ثلاث روائع في أدب الرحلة الحديث مشحونة بالأوصاف الخلّابة، ولأدب والسِيَر والعِلم والطرائف.. إلى مصنَّفات أخرى جليلة ذكرتُها في كتابَيَّ : « أعلام العراق » و « محمود شُكري الألوسي : سيرته ودراساته اللغوِية ». وكان أبو الثناء داهية أريباً، عارفاً بطبائع الناس وأحوال المجتمع وتصاريف السياسة، لَبِقا، ليِّن العَرِيكة، جواداً سخياً، وكان ممدَّحاً، أكثر الشعراءُ في مدحه، وبلغ ما قيل فيه مجلّدَيْن كبيرين، وتصدّى لجمعه تلميذه الأديب عبد الفتاح الشوّاف، وسمَّى مجموعته « حديقة الورود ». ولمُحسن عبد الحميد : « الألوسي مفسّراً ».

(169) كَشْف الطُّرَّة عن الغُرَّة »، ص 257، ط. المطبعة الحنَفية

وبقيت مباحث كثيرة، تتعلق بالماء من حيث طهوريتُه ونجاستُه، وقِلّتُه وكثرته شرعاً، وبيان حقيقته، ونحو ذلك. أعرضنا عن ذكرها في هذا المقام، خوفاً من الضَّجَر والمَلَل ولا سيما ذوي الأسقام.

ونسأل اللّه تعالى أن يُروِيَنا من حَوْض الكَوْثر الذي أُعْطِيَه سيِّد البَشَر، ويُمِيرَنا بلذيذ رؤيته، يوم يتجلّى لخليقته، وأن يغسلنا من الخطايا بماء الثلْج والبَرَد، يوم يفرُّ المرء من أخيه وأمّه وأبيه، والصاحبة والوَلد. والحمد لله الذي وفّقنا للاتمام، وعلى رسوله وخيرته من خلْقه سيدنا محمّد أفضل الصلاة وأكمل السلام، وعلى آله وأصحابه السادات الأعلام، وعلى التابعين لهم بإحسان إلى يوم القيام.

مَا هَمى الـوَدْق بالصلاة، ومااليـرْ
قُ أضا بالسَّلام، والرَّعْدُ جَلْجَلْ (170)

18 ذي الحجّة الحَرام سنة 1302.

شُكْري

= بدمشق، سنة 1301 هـ. وهو أول مؤلّف في النقد اللغوي كُتب في العصر الحديث.

(170) هَمَى الماءُ والدمْعُ ونحوهما يَهْمِي هَمْياً وهُمِيّاً وهَمَيَاناً : سالَ. والوَدْقُ : المَطَر، شديده وهيِّنه ـــ أضَا : أضاءَ، قُصِر للوزن.

مراجع التحقيق والشرح

1) « آثار البلاد وأخبار العِباد » ــ زكريا بن محمود القَزْوِيني، بيروت، 1380 هـ / 1960 م.

2) « أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم » ــ المقدسيّ، المعروف بالبشاري. تحقيق م. ز. دِي غويه. ط 2، بْرِيلْ، لَيْدِن، 1906 م.

3) « أخبار بغداد وما والاها من البلاد » ــ محمود شُكري الألُوسي، (مخطوط).

4) « إِخبار العُلَماء بأخبار الحُكَماء » ــ القِفطي، مصر، 1326 هـ.

5) « الإصابة في تمييز الصحابة » ــ الحافظ ابن حَجَر العَسْقَلاني، مصر، 1358 هـ / 1939 م.

6) « الأعلام » ــ خير الدين الزِّرْكلِي، ط 2، مصر.

7) « أعلام العراق » ــ محمد بهجة الأَثَري، المطبعة السلَفية، القاهرة، 1345 هـ.

8) « بلدان الخلافة الشرقية » — كِي. لسترنج، ترجمة بشير فرنسيسْ وكُوركِيس عَوَّاد، مطبعة المجمع العلمي العراقي، بغداد، 1373 هـ / 1954 م.

9) « بلوغ الأَرَب في أحوال العرب » — محمود شُكري الأُلوسي، تحقيق محمد بهجة الأَثَري، ط 3 القاهرة، غير مؤرَّخة.

10) « تاج العَروس من جواهر القاموس » — محمد مُرتضى الزَّبِيدي، مصر، 1306.

11) « تاج اللّغة وصِحاح العربية » — إسماعيل بن حمّاد الجَوهري، تحقيق أحمد عبد الغفور عطّار، مصر، 1376 هـ / 1956 م.

12) « تاريخ العرب قبل الاسلام، القسم السياسي » — جواد علي، ط 1، مطبعة المجمع العلمي العراقي، 1372 هـ / 1953 م.

13) « تحديد نهايات الأماكن لتصحيح مسافات المساكن » — أبو الرّيحان، محمد بن أحمد البيرُوني، تحقيق الدكتور : ب بُولْجاكوف، نشر مجلة معهد المخطوطات العربية، م 8، 1381 هـ — 1382 هـ.

14) « تذكرة أولي الألباب » ــ داوود بن عمر الأنطَاكِي، بيروت غير مؤرَّخة.

15) « تقويم البلدان » ــ المِلك المؤيد أبو الفداء إسماعيل بن علي ابن أيوب، دار الطباعة السلطانية، باريس، 1840 م.

16) « تهذيب التهذيب » ــ الحافظ ابن حَجَر العَسْقَلاني، حَيْدر آباد الدّكن، 1325 ــ 1327 هـ.

17) « تهذيب اللغة » ــ أبو منصور محمد بن أحمد الأزهري، الدار المصرية للتأليف والنشر، القاهرة، ط 1.

18) « الجامع لمفردات الأدوية والأغذية » ــ عبد الله بن أحمد المالَقي الأندلسي، ابن البيطار، مصر، 1291 هـ.

19) « ديوان الأخرس » = « الطِّراز الأنفس ».

20) « سَقْط الزنْد » (شروح التبريزي والخوارِزْمي والبطليوسي) ــ أبو العَلاء المعَرِّي ــ م. دار الكتب المصرية، 1947 م.

21) « صورة الأرض » ــ أبو القاسم بن حَوْقَل النصِيبي، بيروت، غير مؤرَّخة.

22) « الطِّراز الأنفس » ــ عبد الغفار الأخرس، صنعة أحمد عِزّة باشا العُمَري، مطبعة الشركة المرتبية، إسلامبول = إستانبول، 1304 هـ.

23) « عجائب الأقاليم السبعة » ــ سُهْراب، تحقيق هانْس فُون مزيك، مطبعة أدولف هولْزهوزن فِيينَّا، 1347 هـ / 1929 م.

24) « عيون الأنباء في طبقات الأطباء » ــ ابن أبي أُصَيْبِعَة، موفق الدين أحمد بن القاسم الخَزْرجي، تحقيق : د. نِزَار رضا، بيروت، 1965 م.

25) « غاية الأماني في الردّ على يوسف النَّبْهَاني » ــ أبو المعالي السلامي (محمود شُكري الألُوسي)، ط 1، مصر، غير مؤرَّخة.

26) « الفهرست » ــ محمد بن اسحاق النَّديم، مصر، 1348 م.

27) « فيضانات بغداد في التاريخ » ــ د. أحمد سُوسَة، ط. بغداد ج 1 / س 1963، ج 2 / س 1965، ج 3 / س 1966 م.

28) « كتاب الأربعين الطبّية » المستخرَجة من سُنَن ابن ماجَه وشرحها لعبد اللطيف البغدادي ــ عمل تلميذه الحافظ محمد

ابن يوسف البرزالي، تحقيق عبد الله كنُّون، مطبعة فضالة، المحمَّدية، المملكة المغربية، 1979 م.

29) « كتاب إنباط المياه الخَفِيّة » ــ محمد بن الحسن الحاسِب الكَرَجي، ط دائرة المعارف العثمانية، حيدر آباد الدّكن، 1359 هـ.

30) « كشف الطرّة عن الغرّة » ــ أبو الثناء شهاب الدين محمود الألوسي، المطبعة الحفنية، دمشق، 1301 هـ.

31) « اللّباب في تهذيب الأنساب » ــ عز الدين بن الأثير « المؤرخ »، نشر حسام الدين القدسي، القاهرة، 1357 هـ.

32) « لسان العرب » ــ محمد بن مكرم بن منظور الأفريقي المصري، ط. دار صادر ودار بيروت للطباعة والنشر، بيروت، 1374 هـ / 1955 م.

33) « محمود شُكْري الألوسي » : سيرته وآراؤه اللُّغوية ــ محمد بهجة الأَثَري، نشر معهد الدراسات العربية العالية، القاهرة، 1958 م.

34) « مختصر كتاب البلدان » ــ أحمد بن محمد الهَمذاني (ابن الفقيه)، تحقيق م. ز دِي غويه، بْرِيل، لَيْدِن، 1885 م.

35) « المسالك والممالك » ــ عبيد الله بن عبد الله المعروف بابن خُرَّداذْبِهْ، تحقيق م. ز. دِي غويه، بْرِيل، لَيْدِن، 1889 م.

36) « المسالك والممالك » ــ إبراهيم بن محمد الفارسي الإِصْطِخْري، تحقيق د. محمد جابر عبد العال الحيني، القاهرة، 1381 هـ / 1961 م.

37) « مشارق الأنوار على صحاح الآثار » ــ القاضي عياض بن موسى اليَحْصبي السَّبْتِي ــ الجزء الأول : تحقيق البَلْعَمْشي أحمد يَكْن. ط. وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية للمملكة المغربية، 1402 هـ / 1982 م.

38) « معجم الأقاليم » ــ محمد بهجة الأَثَري.، (مخطوط).

39) « معجم البلدان » ــ ياقوت الحَمَوي، مصر 1323ــ1325 هـ.

40) « المعجم الوسيط » ــ مجمع اللغة العربية بالقاهرة، 1380 هـ / 1960 م.

41) « المعرب » ــ أبو منصور موهوب ابن أحمد الجَوالِيقي، تحقيق أحمد محمد شاكر، مطبعة الكتب المصرية، القاهرة، 1361 هـ.

42) « مناقب بغداد » ــ أبو الفرج بن الجوزي البغدادي، تحقيق محمد بهجة الأَثَرى، مطبعة دار السلام، ببغداد 1342 هـ.

43) « الموسوعة العربية الميسَّرة »، مصر، 1965 م.

44) « ميزان الاعتدال في نقد الرجال » ــ الحافظ الذهَبي، مصر، 1325 هـ.

45) « نُبذ من كتاب الخَراج وصنعة الكتابة » ــ قُدامة ابن جعفر، تحقيق م. ز. دي غويه، بْرِيل لَيْدِن، 1889 م.

46) « النهاية في غريب الحديث والأثر » ــ أبو السعادات ابن الأثير، مصر، 1318 هـ.

47) « وفيات الأعيان » ــ القاضي ابن خلّكان، مصر، 1310 هـ.

الفهارس

1 ـــ الآيات.

2 ـــ الأحاديث.

3 ـــ الأمثال.

4 ـــ الأشعار.

5 ـــ اللغة.

6 ـــ الأعلام.

7 ـــ البلدان والأماكن.

8 ـــ الموضوعات.

1 ـــ الآيات

★ إِنّها ترمي بشَرَرَ كالقصر	3
★ أوَ لم يَرَ الذين كفروا أنّ السَّمٰواتِ والأرض كانتا رَتْقاً ففتقناهما، وجَعَلْنا من الماء كُلّ شيء حَيّ، أفلا يؤمنون.	5
★ فَكُلُوه هنيئا مريئا	74
★ من صَلْصال كالفَخّار	17
★ وآوَيْناهما إلى ربوة ذات قَرار ومَعِين	2
★ وجعلنا من الماء كلّ شيءٍ حيّ (أ)،	5
★ وينزّل من السماء من جبال فيها من بَرَد	23

2 ــ الأحاديث

خَمِّرُوا آنِيَتَكُمْ	20
سُؤر المؤمن شفاء [1]، وإذا زِيد صار داءً [1]	88، 90
سَيْحان وجَيْحان والنيل والفرات : كلها من أنهار الجنة	10، 56
على أهل الحوائط حفظها بالنهار	14
غَطّو الإناء وأوْكُوا السِقاءَ، فإن في السنة ليلة ينزل فيها وباء، ولا يمرّ بالاناء ليس عليه غطاء، أو سِقاء ليس عليه وِكاء، إلّا وَقَع فيه من ذلك الداء	79
لا تشربوا إلا من ذي إداء	81
لا يَلَغْ أحدكم كما يلغ الكلب، ولا يشرب بالليل من إناء حتى يختبره أن لا يكون مُخَمَّراً	19
لعن الله الراشي والمرتشي والرائش	1
ماء زمزم لِما شُرِب له	29، 31
من التواضع شُرْبُك من سُؤْر أخيك	88
نهى رسول اللّه، ﷺ، أن يتنفّس في الماء وينفخ فيه	86

(1) اشتهر بأنه حديث، وليس بحديث.

★

3 ــ الأمثال

★

4 ـ الأشعار

5 ــ اللغة

6 ـــ الأعلام عامّةً

ـــ أ ـــ

— ب —

ـ ت ـ

ـ ج ـ

– ح –

– خ –

— د —

— ذ —

— ر —

— ز —

— س —

— ش —

— ع —

ـ ق ـ

ـ ك ـ

— ل —

— م —

ـ ن ـ

— هـ —

— و —

— ي —

7 ــ البلدان والأماكن

ــ أ ــ

— ب —

ـ ت ـ

– ج –

– ح –

– خ –

ـ د ـ

— ر —

— ز —

— س —

— ش —

— ص —

— ط —

– ش –

– ص –

– ط –

(ع)

– غ –

– ف –

ــ ك ــ

ــ م ــ

— ق —

— ن —

— ي —

8 ـــ موضوعات الكتاب

صفحة

مطبعة المعارف الجديدة
الرباط 707-08.09.15.38 :☎

مطبعة المعارف الجديدة
الرباط 707-08.09.15.38 : ☎